مجـــلة

جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

جامعة الملك خالد

للعلوم الإنسانية

دورية علمية نصف سنوية - محكمة

المجلد الحادي عشر- العدد الثاني (ديسمبر 2024)

عن المجلة:

مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية دورية علمية نصف سنوية، متخصصة في العلوم الإنسانية، محكمة في آلية قبول البحوث القابلة للنشر بها، وتهدف إلى نشر الإنتاج العلمي للباحثين في تخصصات العلوم الإنسانية، وتعنى بالبحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها باللغتين العربية والإنجليزية التي تتسم بالمصداقية واتباع المنهجية العلمية السليمة.

أهداف المجلة:

- الإسهام في إبراز دور الحضارة الإسلامية في إثراء العلوم الإنسانية.
- نشر البحوث العلمية المحكمة في مجال العلوم الإنسانية بفروعها المختلفة.
- الإضافة إلى مركوم المعرفة في الدراسات الإنسانية.
- إبراز جهود الباحثين في الدراسات والبحوث العلمية ذات الصلة بموضوعات الإنسانيات.

هيئة التحرير:

أ.د. عبدالرحمن حسن البارقي	رئيس التحرير
د. جميلة ناصر آل محيا	مديرة التحرير
أ.د. متعب عالي البحيري	عضو هيئة التحرير
أ.د. مفلح زابن القحطاني	عضو هيئة التحرير
أ.د. عبدالحميد سيف الحسامي	عضو هيئة التحرير
د. أحمد علي آل مريع	عضو هيئة التحرير
د. حمساء حبيش الدوسري	عضو هيئة التحرير

قواعد النشر:

1. تقديم البحث إلى المجلة هو التزام وتعهد من الباحث بعدم انتهاك الحقوق الفكرية.
2. نشر البحث في المجلة يتضمن موافقة المؤلف على نقل حقوق النشر للمجلة.
3. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.
4. يجب أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة واتباع المنهجية العلمية، وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
5. أن لا يكون قد سبق نشر البحث، أو قُدم للنشر في مكان آخر.
6. أن لا يكون البحث جزءًا من كتاب منشور أو مستلًا من رسالة علمية.
7. أن لا يزيد عدد كلمات البحث عن عشرة آلاف كلمة بما في ذلك الجداول والملاحق والمراجع.
8. في حالة الأبحاث المشتركة (الجماعية) تُرفق اتفاقية موقعة من الباحثين تتضمن نسبة إسهام كل باحث في العمل المقدم للنشر بالمجلة.
9. يلتزم الباحث بتقديم ما يفيد بمصدر تمويل الأبحاث في حالة وجود دعم لتلك الأبحاث.

10. أن يحتوي البحث على عنوان باللغتين العربية والإنجليزية، وعلى ملخصين باللغتين في حدود (250) كلمة لكل ملخص، ويتضمن الملخصان الهدف، والمشكلة، والمنهج، وأهم النتائج، والكلمات المفتاحية.
11. دفع رسوم التحكيم والنشر في المجلة بمقدار ألفي ريال.
12. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة للباحث/ين في صفحة مستقلة.
13. إرفاق شهادة تدقيق لغوي للأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
14. استخدام نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA) في التوثيق داخل النص وفي كتابة المراجع.
15. رومنة المصادر والمراجع العربية بعد كتابتها بالعربية مباشرة، وقبل الانتقال إلى المصادر والمراجع بلغة أجنبية.
16. تكتب البحوث العربية بخط Traditional Arabic حجم 16 للمتن، و 12 للهوامش.
17. تكتب البحوث الإنجليزية بخط Times New Roman حجم 12 للمتن، وحجم 10 للهوامش.
18. المسافة بين الأسطر.(1.0)
19. يوضع عنوان البحث وصفة الباحث في صفحة مستقلة على النحو الآتي: العنوان بالعربية بمقاس 20، واسم الباحث مقاس 18، وصفته مقاس 14، وباللغة الإنجليزية العنوان مقاس 16، واسم الباحث مقاس 14، وصفته مقاس 12.
20. تُراعى الشروط الفنية لنوع الخط وحجمه في الأبحاث التي تتضمن اللغتين العربية والإنجليزية.
21. على الباحث الالتزام بالتعليمات الفنية، والتدقيق اللغوي قبل إرسال بحثه إلى المجلة.

يُقدَّم البحث من خلال نظام التحرير للمجلات العلمية بجامعة الملك خالد على موقع المجلة او موقع وحدة المجلات والجمعيات العلمية بجامعة الملك خالد او على الرابط التالي (الدخول على نظام التحرير للمجلات العلمية)

الترقيم الدولي: ISSN: 1685-6727

أبحاث العدد:

م	البحث	الصفحة
1	زخارف الأبواب الخشبية في العمارة التقليدية بمنطقة عسير "دراسة تراثية فنية" د. علي عبد الله مرزوق	1- 51
2	السلمية الحجاجية في ديوان مالك بن الريب، مقاربة تداولية. د. فوزية سعد القرني	52- 72
3	تداولية العتبات في ديوان شهد الحروف للشاعر بدر عبدالمحسن د. فوزيه يحيى سعيد النجيمي عسيري	73- 106
4	الأمنُ النفسيُّ في ضوْء الاحتياجات النفسية والاجتماعية والأكاديمية لدى طالبات الجامعة. د. ثريا جبير الطلحي	107-129
5	الشخصيات في رواية الأندلسي الأخير. دراسة "سيميائية". د. هدى آل الشيخ مبارك	130- 151
6	الاستعارة في الخطاب العلميّ: قراءة في الإسقاط الخطاطي على تصوّر العلم في دلائل الإعجاز للجرجاني. د. منى بنت خالد الرويلي	152- 182
7	تحليل وتصنيف الخصائص السكانية وعلاقتها بالتنمية المستدامة في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية. د. ملهى على مفرح الغـزوانى	183- 216
8	سيميائية العنوان في شعر حسن صميلي. د. شيمة محمد الشمري	217- 236
9	تغير المناخ ومحاكاة تأثيره على التنمية السياحة في محافظة البدع خلال الفترة (1993 - 2050) م باستخدام الأتمتة الخلوية في بيئة نظم المعلومات الجغرافية. د. أمل بنت حسين آل مشيط	237-274
10	تصور مقترح لتصميم بودكاست لغوي ثقافي لتعزيز الكفاءة الثقافية السعودية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. د. عادل عبدالله الدوسري. د. محمد إبراهيم الجراح. د. أحمد علي المكرفح.	275- 296
11	التحليل المكاني للتركيب النوعي والعمري في المملكة العربية السعودية لعامي (2010-2022). د. حسن عبدالله مرعي العمري	297- 326

الاستعارة في الخطاب العلميّ: قراءة في الإسقاط الخطاطي على تصوّر العلم في دلائل الإعجاز للجرجاني.

د. منى بنت خالد الرويلي

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربيّة بجامعة الحدود الشماليّة.

Metaphor in Scientific Discourse: A Reading of the Schematic Projection on the Concept of Science in Al-Jurjani's Dalai’l al-I'jaz

MONA KHALID ALRUWAILI

Assistant Professor- Northern Border University- The department of Arabic language

الملخص:

يندرج البحث في إطار الدراسات التي تقارب المعنى من وجهة نظر إدراكيّة تدافع عن الطابع الاستعاريّ واللاواعي والمتجسّد لتصوّراتنا، وتدرس تسرُّب هذا الطابع إلى اللغة من جهة عدم استقلالها عن سائر الملكات الإدراكيّة الأخرى، ومن ثمّ باتت اللغة إحدى أبرز الوسائل المفضية إلى الكشف عن آليّة عملها.

في هذا السياق تأتي أهميّة عملنا في سعيه إلى اختبار هيمنة الاستعاريّة على الخطاب العلميّ الذي هو مظنّة التجرّد والحقيقة، واخترنا أن يكون مجالُ العمل البحثَ في تصوّر العلم على وجه الخصوص؛ لتقصّي مظاهر انبناء هذا التصوّر على أسس استعاريّة متجسّدة أساسًا، وذلك عبر البحث في التصوّرات الخطاطيّة المكوّنة لتصوّر العلم عند أحد أبرز علماء التراث الذين عنوا بصقل تصوّر العلم عنايتهم بصقل مضمونه، وهو عبد القاهر الجرجانيّ في كتاب دلائل الإعجاز.

تتمثّل إشكاليّة البحث فيما تثيره العلاقة بين الخطاب العلمي والاستعارة والتجسد من تنافر في الظاهر، وهو تنافر لا تقرّه النظريّة الإدراكيّة للاستعارة، لا سيّما في بعدها الخطاطيّ.

هدف البحث من وراء ذلك إلى تحديد الأبعاد الخطاطيّة الاستعاريّة المكوّنة لتصوّر العلم في دلائل الإعجاز، ورصد تجلّياتها ونتائجها، ودورها في تحقيق أهداف الخطاب العلميّ.

انتهى البحث إلى الكشف عن الإسقاطات الخطاطيّة على تصوّر العلم في كتاب دلائل الإعجاز، والخطاطات هي: خطاطة المسار، وخطاطة القوّة، والخطاطة العموديّة، وكل واحدة من هذه الخطاطات أسهمت في خدمة الأغراض العلميّة والتعليميّة في الخطاب العلميّ محلّ الدراسة.

الكلمات المفتاحية: التصوّر، الاستعارة، الخطاطة، العلم، الإدراكيّة.

Abstract:

This research falls within the framework of studies that approach meaning from a cognitive standpoint advocating the metaphorical, unconscious, and embodied aspects of our concepts. It investigates the infiltration of these aspects into language; considering its relevance to other cognitive faculties, making language one of the most prominent means leading to the revelation of its operational mechanism.

In this context, the significance of our work lies in its seeking to test the dominance of metaphor in scientific discourse, which is presumed to be objective and factual. We specifically focus on the concept of science; to investigate how this concept is constructed primarily on embodied metaphorical foundations. This was achieved through examining the schematic concepts that constitute the concept of science according to one of the most prominent scholars of heritage who was concerned with refining the concept of science as much as refining its content, namely *Abdulqahir Al-Jurjani* in his book *Dalai'l Al-I'jaz*.

The research problem lies in the apparent contradiction raised by the relationship between scientific discourse, metaphor, and embodiment, an inconsistency that is not supported by the cognitive theory of metaphor, especially regarding its schematic dimension.

The research aims to identify the schematic metaphorical dimensions that constitute the concept of science in *Dalai'l Al-I'jaz*, as well as to explore their manifestations, implications, and role in fulfilling the aims of scientific discourse.

The research concluded by revealing the schematic projections on the concept of science in *Dalai'l al-I'jaz*, which include the path schema, force schema, and verticality schema. Each of these schemas contributed to serving the scientific and educational purposes within the scientific discourse examined.

Keywords: concept, metaphor, schema, science, cognition.

المقدّمة:

يُعنى هذا العمل بالبحث في نسق التفكير العلميّ الذي يحدّد أطر التنظيرات العلميّة، ويتحكّم في ضبط رسومها، وصقل موضوعها، وتقنين آليّات مقاربتها ضمن الحدود التي يتيحها، والآفاق التي يسمح بظهورها، ممارسًا بذلك سلطة الإظهار لما يضمن متانته واتّساقه، والحجب للخروقات التي تحول دون هذه الغاية.

يتجلّى النسق العلمي في مظاهر عديدة، من بينها اللغة الواصفة التي تسمح برصده ومتابعة اشتغاله، وبناء على ذلك حدّدنا عملنا في الخطاب العلميّ ضمن مدوّنة محدودة من التراث العربيّ، بدا لنا أنّ مؤلّفها شديد الإلحاح على تهيئة قرّائه لمضامينه المعرفيّة، وذلك بصقل تصوّر العلم لديهم أوّلًا، ومَوضعة ما يقدّمه من أطروحات ضمن هذا التصوّر ثانيًا.

والمدوّنة كتاب:"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجانيّ أحد أبرز علماء البلاغة في القرن الخامس الهجريّ، ولهذا الحيّز التاريخيّ أهميّته فيما نحن بصدده؛ فوجود المؤلّف في ذلك العصر يجعله مستندًا على جملة من المتون العلميّة التي سبقته في التنظير لمسألة الإعجاز والبلاغة على وجه التحديد، ولا بدّ أنّ استئنافه التفكير في هذه المسألة والتأليف فيها مدفوع برغبة في الإضافة أو التنقيح والمراجعة والتفنيد. مثلما أنّ هذا الحيّز التاريخيّ يستدعي في الذاكرة الصراعات العقديّة/ الفكريّة المتعلّقة بالتنظير للإعجاز، وهو الأمر الذي يكسب هذا الكتاب قيمة مخصوصة تتعلّق بدوره الفاعل في تغذية سجالات الصراعات العقديّة آنذاك، وتنزيلها ضمن نسق علميّ شديد الحساسيّة من حيث صلته بالبحث في كلام الله عزّ وجلّ.

أهميّة البحث:

تكمن أهميّة البحث في تجاوز الخوض في مسائل المعارف الجزئيّة والنفاذ إلى الأسس التصوّريّة الكبرى المحرّكة لمسار العلم، والموجّهة لانتقاءاته بما يتوافق والنموذج المعرفيّ المهيمن في العصر الذي تنتمي إليه الدراسة من جهة، وبما يخدم تطلّعات المؤلّف الفكريّة من جهة ثانية، وذلك عبر مدارسة الخطاب العلميّ في واحد من أبرز المؤلّفات العربيّة التي يؤرَّخ بها في بابها.

منهج البحث:

يقتضي موضوع دراستنا الاستعانة بالتنظيرات التي تتخذ من التصوّرات مجالًا لبحثها، ومن هنا جاءت استعانتنا باللسانيّات الإدراكيّة (cognitive linguistics) التي تُعْنَى بدراسة التصوّرات (concepts) من

خلال اللغة بآليّات علميّة؛ إذ تتّخذ من متابعة الأنساق اللغويّة سبيلًا إلى تتبّع الأنساق التصوّريّة المنتجة لها، وتحرص على أن تكون النتائج التي تتوصّل إليها متوافقة مع ما تتوصّل إليه دراسات الذهن، ومن أبرز المفاهيم التي أرساها هذا التيّار اللسانيّ الخُطَاطَة (schema) والتصوّرات الاستعاريّة (metaphorical concepts)، وهما المفهومان اللذان يستعين بهما هذا العمل في رصد النسق التصوّريّ للعلم في المدوّنة محلّ الدراسة.

إشكاليّة البحث وتساؤلاته:

تتبلور الإشكاليّة في أنّ بحث تصوّر العلم ضمن المنظور الإدراكيّ مرتهن بدراسة العلاقة بين الخطاب العلميّ والاستعارة، وهي علاقة أقرب، في ظاهرها، إلى التناقض منها إلى التآزر، وذلك من حيث كون الخطاب العلمي مرتبطًا في الأذهان بتقصّي الحقيقة، والإفهام، والبعد عن الأخيلة، والنزوع نحو التجريد والتعالي على الجسد، في حين تحيل الاستعارة في مفهومها الإدراكيّ إلى نسبيّة الفهم وخياليّته وتجسّده، وبحث الاقتران بين الاستعارة والخطاب العلميّ وفق هذا المنظور الإدراكيّ في مدوّنة عملنا– من شأنه أن يجعلنا أكثر تبصّرًا بالأسس المكوّنة لعلومنا والمؤثّرة فيها والمتحكّمة في تشكيلها واستمرارها.

وبناء على ذلك يسعى البحث إلى محاورة المدوّنة بالتطرّق إلى عدد من الأسئلة منها:

- ما دور الإسقاطات الاستعاريّة الخطاطيّة في ترسية تصوّر العلم عند الجرجانيّ؟
- أيّ الإسقاطات الاستعاريّة الخطاطيّة أكثر هيمنة على تصوّر العلم عند الجرجانيّ؟ وكيف أسهمت في بسط تنظيراته ومفاهيمه؟
- ما وظائف الاستعارة في الخطاب العلميّ؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

- الكشف عن دور الاستعارات الخطاطيّة في تشكيل تصوّر العلم في المدوّنة.
- بيان الإسقاطات الاستعاريّة الخطاطيّة لتصوّر العلم عند الجرجانيّ، والكشف عن تعالقاتها، والبحث في الإسقاط المهيمن الذي يمثّل التوجّه النظريّ الأبرز في المدوّنة.
- تعرّف دور الاستعارة الخطاطيّة في خدمة أغراض الخطاب العلميّ.

فرضيّة البحث:

إذا كانت أنساقنا التصوّريّة استعاريّة بطبيعتها، ومحكومة بالخطاطات الناشئة عن طبيعة أجسادنا فإنّ تصوّر العلم في الخطاب العلميّ سيكون استعاريًّا، وإذا كان كذلك فهو خطاب ظرفيّ نسبيّ، ولا يقدّم حقائق مطلقة ونهائيّة.

الدراسات السابقة:

ينشغل عملنا بدراسة تصوّر العلم بآليّات علميّة إدراكيّة تستند إلى رصد الخطاب المصدّر لها وتحديد أنساقه الاستعاريّة الخطاطيّة في إطار مدوّنة محدّدة، ولم نعثر، في حدود اجتهادنا في البحث، عن دراسات سابقة تطرّقت إلى هذا الموضوع سوى إشارات تخلّلت كتابات الدكتور محمد أبو موسى، وهي إشارات نابهة ومهمّة، صادرة عن ملاحظة أهميّة دراسة ما يكون به العلم علمًا، ويتقاطع ذلك مع عملنا تحديدًا في وقوفه على الخطاب العلميّ عند الجرجانيّ، ومن مؤلّفاته التي تضمّنت تلك الإشارات:

- (2010)، مدخل إلى كتابَيْ عبدالقاهر الجرجانيّ، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة.
- (2017)، المسكوت عنه في التراث البلاغي، القاهرة: مكتبة وهبة.

وقد أفاد عملنا من هذه الإشارات المهمّة، غير أنّنا نَحَوْنا إلى تأصيلها بالبحث عن الأنساق التصوّريّة التي تصدر عنها، وبيان دورها في الإفهام والتفهيم.

محاور البحث:

يسير البحث وفق خطّة تنظيميّة تبدأ بالمقدّمة، ويليها مدخل شارح للسياق النظريّ الذي تندرج فيه الدراسة، وصولًا إلى تطبيق النظريّة على المدوّنة عبر ثلاثة محاور، يستقلّ كل واحد منها بالبحث في إسقاطٍ خطاطيّ استعاريّ بعينه، ويبتدئ كلّ محور بالتعريف بالخُطَاطَة، ثمّ استعراض التحقّقات الدالّة عليها في مدوّنة الجرجانيّ، ويليها التحليل الإدراكيّ لهذه التحقّقات، والمحاور هي:

المحور الأوّل: إسقاط خُطَاطَة المسار على تصوّر العلم عند الجرجانيّ.

المحور الثاني: إسقاط خُطَاطَة القوة على تصوّر العلم عند الجرجانيّ.

المحور الثالث: إسقاط الخُطَاطَة العموديّة على تصوّر العلم عند الجرجانيّ.

ينتهي البحث بخاتمة توجز ما توصّل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

مدخل: السياق النظريّ للدراسة:

ينخرط العمل في الخُطَاطَة ضمن البحث في علاقتنا بالمعنى بما هي علاقة إنشاء، وليست علاقة لاحقة وتكميليّة؛ إذ يفترض الإدراكيّون أنّ المعنى لا يتشكّل بمعزل عن طبيعتنا الجسديّة وتحرّكاتنا في العالم، وتبرز قيمة هذه الفرضيّة في سعيها إلى اختبار علاقة المجرّد بالماديّ في سبيل البرهنة على الأسس الجسديّة/الماديّة للمعنى، وذلك ضمن مسار بحثٍ إدراكيّ يعيد النظر في الأسس التي قامت عليها توصيفات المعنى في البحث اللساني والفلسفي، فيفيد من بعضها، ويفنّد بعضًا آخر (لايكوف، وجونسون، 2016: 128 وما بعدها)[1].

[1] هذه الفكرة مبثوثة في مراجع إدراكيّة أخرى متعدّدة، يمكن أن نحيل منها على:

- (إيفانز، جرين، صيف 2017م: 53، 54).
- (جونسون، 2008م: 102، 103).

تعود جذور التفكير في الخُطَاطَة إلى الفيلسوف كانط (E.Kant) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكان تحديده للخُطَاطَة بما هي خياليّة ولا قضويّة مُلهمًا لجونسون (M. Johnson) في مراجعة ما استقرّ عليه الإدراكيّون؛ إذ حدّدوا الخُطَاطَة تحديدًا يتماسّ مع النظرة الموضوعيّة للمعنى بإحالته إلى مفهوم القضيّة القابلة للصدق والكذب.

عِوَض ذلك، استعان جونسون بتحديد "كانط"، وعكف عليه مراجعةً وتنقيحًا وتطويرًا، فأفرد كتابًا مُستقلًّا لتحرير مفهوم الخُطَاطَة بما يتساير مع الافتراضات الإدراكيّة الكُبرى التي ترفض القول بالصدق المطلق، وتناضل لأجل إثبات دور المتكلّم وطريقة فهمه للعالم بتحديد ما هو صادق أو كاذب لديه (موقو، 2014: 143-145).

جعل جونسون عنوان كتابه: الجسد في العقل (Body in the Mind)، معلنًا بذلك استئناف التفكير في العلاقة الجدليّة التي يقدحها اللفظان "الجسد" و"العقل"، وعلى حين كانت النظرة السائدة تكبح جماح الجسد بالتعقّل، مُسلّمةً بتعالي العقل عن الجسد، فإنّ النظرة الإدراكيّة الجديدة تقول بتجسّد العقل، أي هيمنة الجسد بتحرّكاته وتجاربه في العالم على صناعة تصوّراتنا وأفكارنا الأكثر تجريدًا (حباشة، 2011: 116)، وهي نتيجة تحصّل عليها الإدراكيّون من دراستهم لطبيعة العقل، وتأتي أهميّتها لا من جدواها فقط، ولكن، أيضًا، من معارضتها لجلّ الفكر الفلسفي السائد بإرثه العلميّ وتاريخه الممتدّ، وهو الأمر الذي أفضى بأعلام هذا التيّار إلى مراجعة ذلك الفكر ومواجهته بالاكتشافات التجريبيّة حول العقل، وأصدر جورج لايكوف (G. Lakoff) وجونسون لأجل هذه الغاية كتاب "الفلسفة في الجسد: الفكر المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ" (لايكوف، وجونسون، 2016).

ومن بين ما حرصا على تجليته أنّ معتقداتنا الأساسيّة حول أنفسنا والعالم من حولنا لا تنفصل عن نظرتنا إلى العقل، ومن ثمّ فإنّ تلك الاكتشافات التجريبيّة لن تفضي إلى تحوّل في النظرة إلى العقل فقط؛ بل سيطال ذلك جملة من أفكارنا الراسخة عن أنفسنا وعالمنا وإدراكنا لكلّ ذلك.

وبهذا المقتضى يقرّر لايكوف وجونسون ألّا وجود لكائنٍ "ديكارتي" اثنيني له عقل منفصل عن الجسد، ولا وجود لكائنٍ "كانطي" له حريّة مطلقة وعقل متعال يملي عليه ما هو صحيح وأخلاقيّ وما ليس كذلك، فالعقل الناشئ عن الجسد لا يتعالى عليه، وبما أنّ الجسد هو الذي يشكّله فهو مقيّد ومحدود وليس حرًّا بصورة مطلقة، فالأنسقة التصوّريّة البشريّة الممكنة محدودة، ومتى تعلّمنا نسقًا تصوريًّا سينطبع عصبيًّا في أدمغتنا، وسنفكّر بمقتضاه، ولن نكون أحرارًا في التفكير، مثلما أنّه لا وجود أيضًا لكائنٍ "تشومسكاوي" لغته محض تركيب مستقلّة عن وظائف الإدراك الأخرى، فالمظاهر المركزيّة للغة تنشأ تطوّريًّا من النسق الحسّي والنسق الحركيّ وأنسقة عصبيّة أخرى (لايكوف، وجونسون، 2016: 39-41).

والخُطَاطَة واحدة من البراهين التي عوّل عليها البحث الإدراكيّ في الكشف عن طبيعة عمل العقل البشريّ في ارتباطه بالجسد، لا بالمعنى الساذج الذي يقول بأنّ العقل لا بدّ له من جسد، ولكن بالمعنى الإدراكيّ الذي يدافع عن نشوء البنية العقليّة من تفاصيل تجسّدنا (لايكوف، وجونسون، 2016 :38)

مفهوم الخُطَاطَة وسماتها الإدراكيّة:

الخُطَاطَة على نحو ما يحدّدها جونسون هي النموذج الذي تنتظم وفقه تجاربنا وترتابط على نحو يسمح لنا بفهمها والتفكير فيها، ولا تكتسب الخُطَاطَة هذه الخاصيّة إلا بالتكرار، فهو الذي يتيح للذهن إمكانيّة استخلاص عناصر معيّنة متواترة في شكل قالب أو نموذج، شديد الرسوخ في الذاكرة طويلة المدى، وسيكون إذ ذاك متعاليًا على التجارب، فقيرًا في التفاصيل، مرنًا في انطباقه على عدد كبير من التجارب (جونسون، 2008: 65، والزناد، 2010: 165)، وبهذا نفهم تركيز جونسون على مسألة التكرار في تعريفه للخُطَاطَة بأنّها: "نموذج متكرّر، هي شكل، وهي إمّا انتظام تتسم به نشاطاتنا الجارية، أو تخلو منه" (جونسون، 2008: 122).

ومثال ذلك تجارب المسار في حياتنا اليوميّة التي تظهر في سيرنا من المنزل إلى المدرسة، وفي ارتحالنا بين البلدان، وفي قذف كرة القدم من لاعب إلى آخر، وغير ذلك من التجارب العديدة، وهي تجارب يستصفي منها الذهن عناصرها القارّة، وعلاقاتها الثابتة، فيبني نموذجًا، هو ما يسمّيه الإدراكيوّن خُطَاطَة المسار، وتتكوّن هذه الخُطَاطَة، على اختلاف تحقّقاتها، من ثلاثة عناصر: نقطة الانطلاق، والمسلك، ونقطة الوصول (جونسون، 2008: 65، البوعمراني، 2009: 101-102).

تنبّه جونسون إلى ما يثيره هذا التحديد من التباس بالصورة الذهنيّة، فجدَّ في الفرز بينهما، ومحاولة استقصاء الفروق الدالّة على اختصاص الخُطَاطَة بدرجة أعلى من التجريد، والبساطة، وسعة الانطباق. فقد بيّنَ أنّ الصورة الذهنيّة تحتوي على صورة خاصّة بشيء بعينه، على حين تخزّن الخُطَاطَة صورة عن عدد كبير من الأشياء والأنشطة والأحداث، فهناك فرق بين صورة ذهنيّة لوجه معيّن بتفاصيل مخصوصة عن شكل العين، والفم، والأنف والجبين وغير ذلك، والخُطَاطَة التي تحتفظ بعدد قليل من السمات العامّة التي تنطبق على أيّ وجه، ولذلك فإنّ الخُطَاطَة ليست وقْفًا على المبصرين (موقو، 2014: 147، 148).

ومن المسائل التي عُني جونسون بتحريرها تأكيدُ طابع الخطاطة اللاقضويّ، مفيدًا بذلك من كانط، ومستندًا إلى مفهوم التجسّد (جونسون، 2008: 63، 64)، ولكنّه، في الوقت نفسه، يؤكّد أنّ هذه الخاصيّة لا تسلبها القدرة على صناعة المعنى، فأبرز دورها المركزيّ في إنشاء المعنى وتوليد الاستدلالات، ومردّ ذلك إلى تميّزها بوجود بنية داخليّة بعناصر منسجمة قادرة على تكوين نظام دالّ في تجربتنا.

فخُطَاطَة الاحتواء، مثلًا، تتكوّن من بنية بسيطة: داخل، وخارج. ولكنّها يمكن أن تولّد معنى الحماية؛ لأنّ الاحتواء يتضمّن هذا المعنى. وعلى هذا النحو، فإنّ الطبيعة اللاقضويّة يُقصد بها معارضة التصوّر الموضوعيّ للقضايا الذي يتجاهل دور تجربتنا الجسديّة في تحديد إدراكنا للعالم (موقو، 2014: 146، 147).

وتنبغي الإشارة إلى أنّ احتواء الخُطَاطَة على بنية وعناصر مشروط بكونها تمثّل جشطلتًا، ويحدّد جونسون مراده بهذا؛ إذ يقول:"والجشطلتات في المعنى الذي أستعملها فيه ليست معطيات غير قابلة للتحليل ولا بنى ذريّة. إنّه يمكنها أن تُحلّل ما دامت تشتمل على أجزاء وأبعاد. ولكن أيّ اختزال يُعمد إليه يهدم الوحدة (النظام الدالّ) التي تجعل البنية دالّة في المقام الأوّل" (جونسون، 2008: 101)، ومن هذه الناحية تكتسب الخطاطات سمات إدراكيّة فريدة تتعلّق بقدرتها على تكميل النقص، وتميم المشهد المختزل، وبفضل هذه الخاصيّة أضحت الخُطَاطَة في عداد المفاهيم المفعّلة في مجال الذكاء الاصطناعيّ، لأنّها عبارة عن "حزم من المعلومات المنضّدة مسبقًا، يكون على أساسها الاستدلال في وضعيّات مألوفة معهودة"(الزناد، 2010: 136).

الخُطَاطَة والإسقاط الاستعاريّ:

تسعى النظريّة الإدراكيّة للاستعارة، عبر براهين تجريبيّة، إلى إثبات الطابع الاستعاريّ لتصوّراتنا المجرّدة، فالاستعارة، وفق هذا المنظور، ليست زخرفًا لغويًّا سطحيًّا، ولكنّها تصوّريّة، بمعنى أنّها تسمح باستعارة أنماط التفكير في شيء ما يسمّى "المجال المصدر" وهو حسّي في الغالب، وإسقاطها(projection) على تصوّر آخر يسمّى "المجال الهدف"، فيكون فهمنا للمجال الهدف حادثًا بواسطة معرفتنا وخبرتنا بالمجال المصدر، ولمّا كان ذلك يحدث على المستوى التصوّريّ فإنّ اللغة ستكون تابعة له ومعبّرة عنه في الوقت نفسه (لايكوف، جونسون، 2009: 21-23)؛ ولذا يفرز لايكوف بين مستويي الاستعارة من خلال مصطلح "التعبير الاستعاري (metaphorical expression) الذي يحيل على التحقّق السطحيّ اللغويّ، والاستعارة (metaphor) التي تدلّ عند إطلاقها على المستوى العميق الذي يحيل على التصوّر المنتج للاستعارة اللغويّة، والمتحكّم بها وبالسلوك على السواء (لايكوف، 2015-2016: 15)، ولأجل هذا أمكن الاستدلال باللغة على التصوّر، من جهة أنّ اللغة، فيما يرى الإدراكيّون، غير مستقلّة عن سائر الملكات الإدراكيّة الأخرى (تاندل، 2022: 181)، ومن ثمّ فهي النافذة التي يمكن أن نطلّ منها على التصوّر ونهتدي إليه (لايكوف، جونسون، 2009: 21، ومجموعة مؤلفين، إطلالات على النظريات اللسانية والدلاليّة، 2012: 379/1).

ولمّا كانت الاستعارة في العرف الإدراكي هي فهم المجال المصدر من خلال المجال الهدف؛ فإنّ الخُطَاطَة، بوصفها منظّمة لفهمنا وتجربتنا، ونابعة أساسًا من تجربتنا الجسديّة في العالم، ونملك عنها

معارف قارّة في أذهاننا – أضحت سبيلًا من سبل الإدراكيّين في البرهنة على ارتهان التفكير المجرّد بما هو ماديّ محسوس، فعُنُوا بـ"تفسير كيف أنّ مفهومنا للعقلانيّة المجرّدة (المنطقيّة الخالصة) يجب أن يتأسّس على تفكير ملموس يستخدم نماذج الصورة الخطاطيّة وامتداداتها الاستعاريّة" (جونسون، 2008: 105)، فتكون الخُطَاطَة هي المجال المصدر، والتصوّر هو المجال الهدف (البوعمراني، 2016: 158).

في هذا السياق المعرفيّ يندرج بحثنا في دراسة تصوّر العلم عند الجرجانيّ من خلال البحث في الإسقاطات الخطاطيّة الاستعاريّة عليه. وليس موضوع البحث التطرّق إلى المسائل الجزئيّة في العلم الذي يطرحه كتاب الدلائل، وإنّما في نسق التفكير العلمي الذي يتحكّم في مفاصله، ويحوك علاقته مع غيره من المؤلّفات والآراء التي يوردها تقريرًا أو تفنيدًا أو مراجعة وتمحيصا، وذلك في سبيل السعي إلى تحصيل أجوبة تتعلّق بالنسق التصوّريّ الخطاطيّ للعلم على نحو ما يظهر في دلائل الإعجاز. وبعد استقراء الكتاب تبدّى لنا أنّ حديث الجرجانيّ عن العلم خاضع لعددٍ من الخطاطات، من أبرزها: خُطَاطَة المسار، وخُطَاطَة القوّة، والخُطَاطَة العموديّة.

1- إسقاط خُطَاطَة المسار على تصوّر العلم عند الجرجانيّ.

- **خُطَاطَة المسار:**

خُطَاطَة المسار ممتدّة التحقّقات في ممارساتنا وحياتنا اليوميّة، وفي أنماط تفكيرنا أيضًا، ولها دور بارز في تنظيم إدراكنا وطريقة تفكيرنا، ومردّ ذلك إلى أنّها تملك بنية بسيطة قوامها ثلاثة عناصر: نقطة الانطلاق، ونقطة الوصول، ومسافة واصلة بينهما، ويمثّل لها الإدراكيّون بالرسم التالي (البوعمراني، 2009: 102):

أ_____ب

المسار

إذ يحيل (أ) إلى نقطة الانطلاق، وتمثّل (ب) نقطة الوصول، والمسار هو المسافة المقطوعة بين النقطتين.

وعلى الرغم من بساطة هذه البنية فقد تنبّه الدارسون الإدراكيّون إلى ما تنطوي عليه من استلزامات تنظّم العلاقة بين عناصرها، من ذلك (البوعمراني، 2009: 103):

- أنّ السير من (أ) إلى (ب) يستلزم المرور بكلّ المواضع الواقعة بين النقطتين.
- أنّ السير ينبغي أن تكون له وجهة يتحدّد اتّجاهه بمقتضاها.
- أنّ المسار ينبغي أن تكون له أبعاد زمنيّة، فالمنطلق من النقطة (أ) في الزمن ز1، يصل إلى ب في الزمن ز2، وإذا كانت النقطة (أ) بعيدة عن النقطة (ب) سيصل إليها في زمن متأخر عن زمن الانطلاق.

لا توفّر هذه الخُطَاطَة شديدة التجريد تفاصيل أخرى تتعلّق باحتماليّة تعدّد المسارات التي تبلّغ السائر المنطلق من نقطة (أ) إلى النقطة (ب)، وكذا اختلاف الأزمان عند قطع هذه المسارات على الرغم من كون نقطة الانطلاق واحدة ونقطة الوصول كذلك.

يتجلّى ثراء هذه الخُطَاطَة بالإسقاطات الاستعاريّة، فمن بين أهم اكتشافات العلم الإدراكيّ "أنّ الأنسقة التصوّريّة المستعملة في لغات العالم توظّف عددًا قليلا من خطاطات الصور القاعديّة، وإن كان نطاق العلاقات الفضائيّة المعقّدة التي يمكن بناؤها بواسطة هذه الخطاطات واسعًا جدًّا" (لايكوف، جونسون، 2016: 78)، ومن أشكال توظيف هذه العلاقات استثمارها في التفكير المجرّد عبر الإسقاط الاستعاريّ (لايكوف، جونسون، 2016: 78).

وفي هذا المحور سندرس الإسقاط الاستعاريّ لهذه الخُطَاطَة بوصفها "المجال المصدر" على تصوّر العلم بما هو "مجال هدف" في مدوّنة الجرجانيّ "دلائل الإعجاز" وذلك بالنظر في التحقّقات اللغويّة التي من شأنها أن تكشف عن الأساس التصوّريّ الصادرة عنه.

- **التحقّقات اللغويّة للتصوّر الخطاطيّ: العلم مسار:**

يتضمّن الجدول أدناه في العمود الأوّل شواهد دالّة على نسقيّة تصوّر العلم مسار، ولغاية الإيضاح وضعنا خطًّا تحت الألفاظ الدالّة فيما نحن بصدده، وأرفقنا في العمود المجاور توضيحًا لموطن الاستعارة:

م	الشاهد	موطن الاستعارة
1	"فإذا كنتَ لا تشكُّ في أَنْ لا معنى لبقاءِ المُعجزة بالقرآن إلاَّ أنَّ الوصفَ الذي له كان معجزاً قائمٌ فيه أبداً، وأنَّ **الطريقَ** إلى العلم به موجودٌ، **والوصولَ** إليه ممكنٌ..." (الجرجاني، 1992: 10).	العلم غاية يتوصّل إليها بعبور طريقها
2	وإذا نظرتَ إلى" الفصاحة "هذا النظرَ... احتجْتَ إلى صبرٍ على التأمُّل...وإلى هِمَّة تَأْبى لكَ أن تَقْنَع إلاَّ بالتَّمام، وأنْ تَرْبَعَ إلاَّ بَعْد **بلوغِ الغاية**، ومتى **جَشِمْتَ** ذلك... فقد أَمَمْتَ إلى غرضٍ كَريم...وذلك أنْ تَعرِفَ حُجَّة الله تعالى منَ الوَجْه الذي هو أَضْوَأُ لها وأنوه لها ... وأن **تَسْلُكَ** إليها **الطريقَ** الذي هو آمَنُ لكَ منَ الشكِّ،... وأَحرى بأن **يُبلَغَك قاصِيةَ** التبيين" (الجرجاني، 1992: 37، 38).	العلم غاية
3	"وإنما نحن في أمورٍ **تُدرَك** بالفِكَر اللطيفةِ...فليس **دَرَكُ** صوابٍ **دركًا** فيما نحنُ فيه حتى يَشْرُفَ موضعُه، ويَصعُبَ **الوصولُ** إليه" (الجرجاني، 1992: 98).	العلم إدراك
4	"وهذا فنٌّ عجيبُ الشأنِ... والمُعَوَّلُ فيه على مراجعةِ النفسِ **واستقصاءِ** التأمُّلِ" الجرجاني، 1992: 183).	العلم استقصاء
5	"وفي الوقوفِ على العلَّة في ذلك إشكالٌ وغُموضٌ، ذاك لأنَّ **الطريقَ** إليه غيرُ **مسْلوكٍ**، **واجهةَ** التي منها تعرف غير معروفة" (الجرجاني، 1992: 212).	العلم مسار غير مسلوك

6	"واعلمْ أنك لا تَشْفي العلَّة... حتى **تتجاوزَ حدَّ** العلمِ بالشيء مجْملاً، **إلى** العِلْم به مفصَّلاً، وحتَّى لا يُقْنِعك إلاّ النظرُ في زواياهُ، **والتَّغلغلُ** في مكامنه، وحتى تكون كمَنْ **تتَبَّع** الماءَ حتى عرَفَ منْبَعهَ، **وانتهى** في البحثِ عن جوهرِ العُود الذي يُصْنَع فيه إلى أنْ يعْرِفَ منْبِتَه" (الجرجاني، 1992: 260).	العلم تتبّع
7	"ولم يَنْغَلِقِ الكلامُ في هذا الباب إلاَّ لأنَّه قد تَناهى في الغُموض والخَفَاء إلى **أقصى الغايات**، وأنكَ لا ترى أغْرَبَ **مَذْهبا**، وأعجَبَ **طريقا**، وأحْرى بأن تَضْطرِبَ فيه الآراءُ، منه. وما قولُك في شيءٍ قد **بلَغ** مِنْ أمرِه أن يُدَّعَى على كبار العلماء أنهم لم يَعْلَموه ولم يَفْطِنوا له؟" (الجرجاني، 1992: 271)	العلم غايته بعيدة، ومسار الطريق إليه غريب وعجيب.
8	"واعلمْ أنَّ ممّا أغمض **الطريق** إلى معرفة ما نحن بصدده أنّ ههنا فروقًا خفيّة تجهلها العامّة وكثير من الخاصّة... واعلم أنّ ههنا دقائقَ لو أنَّ الكنديَّ استقرى وتصفَّحَ **وتَتَبَّع** مواقِعَ "إنَّ"... لعَلِمَ عِلْمَ ضرورةٍ أنْ ليس سواء دخولها وأن لا تدخل" (الجرجاني، 1992: 315).	العلم مسار غامض يتطلّب تتبعًا
9	"وهو، على ذاك، **الطريقُ المزلَّةُ** الذي ورَّط كثيرا من الناس في **الهَلَكة**، ...ذاك لأنه قد يَدْفع إلى الشيءِ لا يصح إلاَّ بتقديرِ غَير ما يُريه الظاهرُ، ثم لا يكونُ له **سبيلٌ** إلى معرفةِ ذلك التقديرِ إذا كان جاهلاً بهذا العلم، **فيتسكَّع** عند ذلك في العَمَى، ويقع في **الضَّلال**"(الجرجاني، 1992: 374، 375).	الجهل طريق مزل ومهلك، والجاهل متسكّع ضالّ.
10	"فقد بانَ وظهَرَ أنَّ المتعاطيَ القَوْلَ في "النّظْم"...وهو لا يَعْرِض ...للقوانين والأصول التي قدَّمْنا ذِكْرَها، ولا **يَسْلك إليه المَسالِكَ** التي **نَهَجْناها**، في عمياءَ مِنْ أمره... وفي خِداعٍ من الأماني **والأضاليلِ**"(الجرجاني، 1992: 392).	العلم مسلك
11	"فإن أردتَ الصّدقَ، فإنَّك لا تَرَى في الدنيا شأناً أَعْجبَ من شأنِ النّاسِ مع" اللفظ"... فلستَ تَرَى إلاَّ نفوسا قد جَعلَتْ تَرْكَ النظرِ دأْبَها، ووَصَلَتْ **بالهُوَينى** أَسبابَها، فهي تغترّ **بالأضاليلِ وتَتباعَدُ** عن التحصيلِ، وتُلْقي بأيديها إلى الشَّبَه، **وتُسْرِعُ** إلى القولِ المموَّه" (الجرجاني، 1992: 458).	الجهل ضلال
12	"إنْ كنتَ سمعتَ سماعَ صادقِ الرغبةِ في أن تكونَ في أَمرِكَ على بصيرةٍ، ونظرتَ نظَرَ تامِّ العنايةِ في أن **يُورِدَ ويَصْدُرَ** عن معرفةٍ،... فقد **هُديتَ** لضالَّتك، وفُتح لك **الطريقُ** إلى بُغْيتك، وهُيِّئ لك الأداةُ التي بها **تبلغُ**، وأُوتيت الآلةَ التي معها **تصل**"(الجرجاني، 1992: 477).	العلم هداية

تنخرط لغة الجرجانيّ ههنا أثناء حديثه عن العلم ضمن التصوّر الاستعاريّ: العلم مسار، ومن نافلة القول الإشارة إلى أنّ هذا التصوّر قارّ في الذاكرة العلميّة العربيّة قبل عهد الجرجانيّ[2]؛ إذ طفق القوم

[2] ينظر على سبيل المثال: (سيبويه، 2004: 34/1، 35). و(ابن جني، 2010: 97، 98، 105).

يصوغون علومهم بلغة تمتح من حقل المسار، وسواء كانت هذه الاستعارة حادثة بوعي منهم أو أنّها جاءت عفو الخاطر فإنّها تنبئ عن رغبة ملحّة في تثبيت العلوم الجديدة في الأذهان على نحو يقارب ثبات خُطَاطَة المسار فيها، ولعلّ الأساس التجريبيّ لهذا التعالق ناشئ عن واقع الارتحال الفعليّ لأجل طلب العلم آنذاك.

يحلّل الإدراكيّون هذا التعالق بما هو إسقاط استعاريّ؛ إذ يفضي تواتره في اللغة العلميّة إلى إنشاء ترابطات بين الشبكة العصبيّة الخاصّة بالمسار، والأخرى الخاصّة بالعلم، ويحدث حينئذ الإسقاط الاستعاريّ، وكلّما زاد الزمن الذي تظلّ فيه هذه الترابطات منشّطة ازداد وزنها، إلى أن تصاغ ترابطات دائمة، وذلك ما يسمح باستعمال ألفاظ خاصّة بالمسار، على نحو يبدو وضعيًّا لا يُنتبه إلى مجازيّته، في الحديث عن العلم (لايكوف، جونسون، 2016: 99، 103)، ولا أدلّ على ذلك من اكتظاظ المؤلّفات العلميّة بألفاظ من قبيل: المذهب، والطرق، والأدلّة، وهي ألفاظ مستعملة في لغة العلم دون الاكتراث، أو حتى الانتباه، إلى أصلها المجازيّ غالبًا، لكنّها ليست كذلك في عين الدارس الإدراكيّ الذي يبرهن من خلال هذه التعالقات على دور الجسد في صياغة تصوّراتنا الأكثر أهميّة وتجريدًا؛ إذ يتجلّى التجسّد في هذا الإسقاط الاستعاريّ بثلاث طرق[3]:

- الأول: يحدث هذا التعالق من اشتغالنا المجسّد في العالم عبر الارتحال الفعلي لطلب العلم.
- الثاني: المجال المصدر "المسار" يأتي من النسق الحسّي الحركيّ المباشر للجسد.
- الثالث: يحدث هذا التعالق بواسطة تعالقات عصبيّة كائنة في الجسد.

وعلى أيّة حال ينبغي أن ينشط البحث في تدبّر مسالك الجرجانيّ في صناعة معناه الخاصّ للعلم من خلال هذه الخُطَاطَة شديدة العموم والتجريد من جهة، وذات الأساس الرمزيّ المكين في الذاكرة العربيّة والإسلاميّة من جهة ثانية، ومحاولة التطرّق إلى أسئلة تخصّ تأثير هذه الاستعارة في توجيه الفكر العلميّ في الكتاب، وهو عمل يصبّ في صلب الدرس الإدراكيّ الذي تتجاوز مهمّته رصد الاستعارات، ويؤكّد أربابه أنّه "من الأهميّة بمكان أن نتذكّر أنّ الاستعارات التصوّريّة تتجاوز المجال التصوّريّ، إنّ لها تبعات بالنسبة إلى الثقافة الماديّة" (لايكوف، جونسون، 2016: 110)، وهي تبعات ناتجة عن تحكّم التصوّر في اللغة والسلوك معًا، ولذا سيعمد البحث إلى مباشرة مدوّنته في هذا المحور بإثارة تساؤلات من قبيل:

- ما دور هذه الخُطَاطَة في تبسيط العلم الذي يقدّمه الجرجانيّ؟
- ما العناصر التي حاول الجرجانيّ إبرازها في هذا الإسقاط الاستعاريّ والعناصر التي تجاهلها؟

[3] بهذه الطريقة تعامل لايكوف وجونسون مع دور التجسّد في صياغة استعارة "الأكثر فوق". ينظر: (لايكوف، جونسون، 2016: 99،100).

- كيف طوّع هذه الاستعارة لخدمة أهدافه والأيديولوجيا التي يدافع عنها؟

تحاول هذه الأسئلة دراسة الإسقاط الاستعاري "العلم مسار" من خلال ما تبوح به لغة الجرجانيّ دونما إغفال للسياق الفكريّ/ العقديّ الحاضن لمنشأ هذا الكتاب والمحرّك لغاياته.

ينبغي الإشارة في البدء إلى أنّ الجرجانيّ استثمر عناصر الخُطَاطَة الثلاثة:

- نقطة البدء (5، 12).
- نقطة الوصول (1، 2، 3، 6، 7، 12).
- المسافة المقطوعة بينهما (2، 3، 4، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12).

على الرغم من كون الجرجانيّ مسبوقًا باستعمال هذه الاستعارة فإنّه أضفى عليها خصوصيّة أكسبت كتابه قيمة علميّة لا يمكن التنكّر لها، فقد بيّن الجرجانيّ أنّ ثمّة طريقين: الأوّل معروف لكنّه لا يصل بنا إلى الحقائق، والثاني غير مسلوك والجهة التي منها يعرف غير معروفة (5) لكنّ السائر فيه يصل إلى الحقائق إن اتّبع خطّة السير التي وضعها الجرجانيّ (12)، ولم يكن الجرجانيّ ليختار إلّا هذا الطريق الأخير، يقول:"واعلمْ أنَّا وإنْ كنَّا إذا **اتَّبَعْنا** العُرفَ والعادةَ وما يَهْجسُ في الضَّميرِ وما عليه العامَّةُ، أرَانا ذلكَ أنَّ الصوابَ معهم، وأنَّ التعويلَ ينبغي أن يكونَ على المعنى. وأنَّه الذي لا يَسوغُ القول بخلافِه، فإنَّ الأمرَ بالضدِّ إذا جئْنا إلى الحقائقِ، وإلى ما عليه المحصِّلون" (الجرجاني، 1992: 252).

وفي هذا السياق يقرّع الجرجانيّ المقلّدين، ويخرجهم من دائرة العلم، فهو يصف من لا يقنع بمحاجته بأنّه "رجلٌ قد أَنِسَ بالتقليدِ... ومَنْ كان هذا **سبيله**، فليسَ له دواءٌ سِوى السكوتِ عنه، وتَرْكِهِ وما يَختارُه لنفسِه من سُوءِ النظرِ وقِلَّةِ التدبُّرْ" (الجرجاني، 1992: 64).

لا يسع الناظر في مثل هذا الخطاب أن يتجاهل حماسة الجرجانيّ لأفكاره، وما علق بهذه الحماسة من رغبة في نفي المسالك الأخرى التي حاولت بيان المزيّة وموطن الإعجاز، وإيمانه المترسّخ بأنّ "المتعاطيَ القَوْلَ في" النظم"، والزاعمَ أنه يحاولُ بيانَ المزيةِ فيه، وهو لا يَعْرِض فيما يُعيدُه ويُبديهِ للقوانين والأصول التي قدَّمْنا ذِكْرَها، ولا **يَسْلك إليه المَسالِكَ التي نَهَجْناها**، في عمياءَ مِنْ أمره، وفي غرورٍ من نفسه، وفي خِداعٍ من الأماني **والأضاليلِ**" (10).

لا تعبّر كلمة "الأضاليل" عن ضياع محض وحسب، بل هي، في الوعي الإسلاميّ، محمّلة بدلالات ترتبط بالمصير الأخروي، مثلما أنّ كلمة "الهدى" (12) تحمل ذات الدلالة ولكن على الصعيد الإيجابيّ، ومن ثمّ كانت صفة لمن اتّبعه، أمّا مخالفته فهي ضلال، وتسكّع، وطريق مزلّة، وهلكة (9، 10، 11)، ولهذا الأمر مبرّراته؛ لارتباط العلم الذي يباحثه بالإعجاز القرآنيّ، ولذا تشدّد في إركاز ما يؤمن به في النفوس، والتنفير مما عداه؛ لأنّه لا يعدّه علمًا فحسب، بل هو بالنسبة إليه ديانة ومعتقد(1).

ولا يعني ذلك أنّه شقّ طريقًا جديدًا تمامًا، ولكنّه يلتمس فيما يقدّمه مواصلةً لعلم قديم، غير أنّه كان إلى الرمز والإيماء أقرب منه إلى البيان والإيضاح، وحاول استخراج هذا العلم بالاتّكاء على عقله أكثر من اتّكائه على من سبقوه (شادي، 2010: 22)، وكان منهجه في التعامل معهم ذا بعدين:

- الأول: التنقيب فيما قاله القدماء ولمح إشاراتهم وإيماءاتهم وتجاوز الوقوف على ظاهر كلامهم.
- الثاني: إخضاع أقوالهم للنقد والمساءلة عبر ما يطرحه من مجادلات.

وفي كلٍّ، كان العقل هو أداته، والتقليد عدوّه، والبحث عن المخفيّ وَكْده؛ وذلك ما لحظه عددٌ من الباحثين ونبّهوا إلى دوره في بلورة تصوّر العلم عند الجرجانيّ. (حجاب، 1980: 429)، و(مقدمة محمود شاكر على: عبدالقاهر الجرجانيّ، 1992: (أ))، و(شادي، 2010:43، 44), و(أبو موسى،2017م: 175).

والجرجانيّ إذ يفعل ذاك فإنّه يفعله عن قصد ووعي؛ لأنّه نظر في العلوم وقارن علم البيان والفصاحة بها، فوجد بونًا لم يتوان في التصريح به والتنبيه عليه؛ إذ يقول:"واعلمْ أنكَ لا تَرى في الدّنيا عِلْمًا قد جرى الأمرُ فيه بَديئًا وأخيرًا على ما جرى عليه في "علمِ الفصاحةِ والبيانِ". أمّا البديء، فهو أنَّك لا تَرى نوعًا من أنواع العلوم إلّا وإذا تأملت كلام الأوّلين الذي عَلَّموا الناسَ، وجدْتَ العبارةَ فيه أكثرَ من الإشارة، والتصريحَ أغلبَ من التلويح، والأمرُ في "علمِ الفصاحةِ "بالضِّدِّ مِن هذا. فإنك إذا قرأتَ ما قالَه العلماءُ فيه، وجدْتَ جُلَّه أو كُلَّهَ رمزاً ووَحْياً، وكنايةً وتعريضاً، وإيماءً إلى الغرض من وجْهٍ لا يَفْطنُ له إلاَّ مَنْ غلغَلَ الفكْرَ وأدَّقَ النظَرَ، ومَنْ يَرجعُ من طَبْعه إلى ألْمَعيَّةٍ يَقْوى معها على الغامِض، ويصلُ بها إلى الخفيِّ" (الجرجاني، 1992: 455).

تنبّه الجرجانيّ إلى أنّ مسار علم الفصاحة والبيان لا يجري كما تسير العلوم التي تبدأ أوّل أمرها واضحة، فالبيان بدأ بإشارات لم تتطوّر إلى مسار واضح المعالم، وأسهم ذلك في تكدّس الغموض، واكتفى القوم بالقول إلى أنّ ههنا مزيّةً وفضلًا دون إيضاح لها، أو بإحالة المزيّة عن وجهها بنسبتها إلى اللفظ (الجرجاني، 1992: 35، 36)، وذلك ما يرفضه الجرجانيّ رفضًا قاطعًا، فالمزيّة عنده راجعة إلى النّظم، وعلى الرغم من وضوح هذه الفكرة عند الجرجانيّ وحماسته البالغة لها فإنّه لا ينكر أنّها صعبة المرام، والسلوك إليها لا يكون بالهوينى، بل بالصبر والمواظبة وتجشّم الصعاب (2)، فالغموض حافّ بهذا المسار إلى الحدّ الذي أزلّ بعض العلماء فحادوا عن الطريق، وفي هذا السياق يتنزّل نقده لهم، ودعوته إلى نبذ التقليد والركون إلى الرأي الأوّل.

وعلى هذا النحو، ينقل الجرجانيّ خبرته بالمسار وما يتصل به من أخطار ومشاق وصعوبات ويسقطها على تصوّره للعلم؛ ليصوغ في منتهى الأمر تصوّرًا خاصًّا يؤتى بالقوّة لا الهوينى (11)، وبالصبر لا التسرّع(2)، وباللطف والدقّة لا الأخذ بظواهر الأمور، وبالتأمّل والتتبّع والاستقصاء (4، 8) لا السير

خلف العرف والعادة (الجرجاني، 1992: 171، 183، 252، 260، 292)، ولأجل هذه المواصفات يدقّق الجرجانيّ صفات العالم بأنّه قائد لنفسه لا تابع، باحث عن الدليل، بصير بالشبهة، متقصٍّ للحجج التي تنير له الدرب، وتفتح له الطريق (12)، ولذا لا يفتأ يُجرّح مَن يلقي مقادة عقله إلى غيره، فهؤلاء:"قومٌ قد أسلموا أنفسهم إلى التخيّل، وألقوا **مقادتهم** إلى الأوْهام، حتى **عدلتْ** بِهم عن الصوابِ كلَّ معدلٍ، **ودخلَتْ** بِهم مِنْ فُحْشِ الغلَطِ في **كلِّ مدْخَلٍ، وتعسَّفَتْ** بهم في **كلِّ مَجْهلٍ**" (الجرجاني، 1992: 415. وينظر أيضًا:171).

أمّا مساره هو فمرتبط بـ"البلوغ"، و"الوصول"، و"الغاية"، وهي ألفاظ مأخوذة من حقل السّير، ولها رصيد رمزيّ عميق في أنفس المتلقّين، ولا ينبي الجرجانيّ عن تحريك هذا الرصيد بربطه بالمقاصد الدينيّة (2)، وذلك ما يبرّر الجهاد العلمي الذي يحضّ عليه الجرجانيّ، وذلك ما سيأتي بيانه في المحور التالي المتعلّق بدراسة إسقاط خُطَاطَة القوّة على العلم.

2- إسقاط خُطَاطَة القوّة على تصوّر العلم عند الجرجانيّ.

يأتي حديث الجرجانيّ عن العلم في مواضع عديدة من كتابه محلّ الدراسة مرتهنًا بخُطَاطَة القوّة، وقد بيّن لايكوف وجونسون أنماطًا متعدّدة لهذه الخُطَاطَة، يعنينا منها ههنا: خُطَاطَة العائق، وخُطَاطَة إزالة الحاجز، وخُطَاطَة الإلزام. فقد أفضى النظر في المدوّنة إلى ملاحظة أنّ القوّة التي يلجأ إليها خطابه ليست سوى ردّ فعل على قوّة عظمى، هي قوّة الجهل الحاجزة والصادّة عن تحصيل العلم على النحو الذي يراه الجرجانيّ، ومن ثمّ كان لزامًا عليه أن يقف أولًا على هذه العوائق، ويحدّدها، ويبيّن خطرها، قبل أن يشرع في إزالتها، ليصل إلى النتيجة التي يبتغيها وهي إلزاميّة هذا العلم، وذلك ما سيقف عليه هذا البحث فيما يأتي.

- **خُطَاطَة العائق blockage:**

لخُطَاطَة العائق بنية شديدة التكرار في تجربتنا الماديّة اليوميّة، ويمكن ردّ هذه البنية إلى عنصرين:

- العنصر (أ): قوّة ماضية في مسارها.
- العنصر (ب): قوّة أخرى صادّة للأولى ومانعة لها من المتابعة في مسارها (جونسون، 2008: 74، والبوعمراني، 2016: 161).

وهذا الجشطلت يصدق على تجارب عديدة في حياتنا، من ذلك على سبيل المثال: المظلّة التي تواجه قوّة المطر وتحول دون وصوله إلى حاملها، ويمكن أن تكون العوائق تواضعيّة ذهنيّة، كحدود ملعب كرة القدم التي تفرض على اللاعبين البقاء في إطارها.

تجرّد أذهاننا من هذه التجارب الماديّة خُطَاطَةً شديدة التجريد تفيد منها في تعدية الفهم الخاصّ بتجربتنا الماديّة وسحبه على تصوّراتنا الذهنيّة عبر الإسقاط الاستعاريّ، وقد حاول مارك جونسون

اختبار مجال عمل جشطلت القوّة في المجال الاستعاريّ (المجرّد) بطرق موازية لعملها في التجارب الفيزيائيّة أو الاجتماعيّة مستعينًا بالتأويل الاستعاريّ (جونسون، الجسد في العقل: 85 وما بعدها)، استنادًا إلى افتراض أنّنا "نفهم المسارات الذهنيّة للتفكير باعتبارها تشتمل على قوى وحواجز مماثلة للحواجز والقوى الفيزيائيّة" (جونسون، الجسد في العقل: 85).

والناظر في المدوّنة محلّ الدراسة يلحظ أنّ تصوّر الجرجانيّ للعلم مُبنين جزئيًّا بواسطة خُطَاطَة العائق، وذلك ما سنسعى إلى تجليته والبرهنة عليه فيما يأتي عبر استعراض جانب من التحقّقات اللغويّة الدالّة عليه ودراستها.

- **التحقّقات اللغويّة للتصوّر الخطاطيّ: الجهل عائق للعلم:**

م	الشاهد	موطن الاستعارة
1	"لمّا لم تعرفْ هذه الطائفةُ هذهِ الدقائقَ... لم تَتعرضْ لها ولم تَطلبها، ثمَّ عَنَّ لها **بسوء الاتفاقِ** رأيٌ صارَ **حجازا** بينَها وبينَ العلم بها، **وسدّا** دونَ أن تصلَ إليها" (الجرجاني، 1992: 7).	الجهل حاجز
2	"لا جَرَمَ أَنَّ ذلك قد ذَهَبَ بهم عن معرفةِ البلاغةِ، **ومنَعَهم** أن يَعرفوا مقاديرَها، **وصدّ** بأوجههم عن الجهةِ التي هي فيها ... والمَداخِلُ التي تَدخُلُ منها الآفةُ على النّاس في شأنِ العلم، ويَبْلُغ **الشيطانُ** مُرادهَ منهم في **الصدِّ** عن طَلَبهِ وإحراز فضيلتهِ كثيرة، وهذه من أعجبها" (الجرجاني، 1992: 109).	الجهل حاجز الشيطان حاجز
3	"واعلمْ أنْ لمْ تَضِقِ العبارةُ ولم يقصر اللفظُ ولم **يَنْغَلِقِ** الكلامُ في هذا الباب، إلاَّ لأنَّه قد **تَناهى في الغُموض والخَفَاء** إلى أقصى الغايات" (الجرجاني، 1992: 271).	الغموض والخفاء حاجز
4	"واعلمْ أني على طول ما أعدتُ وأبدأتُ، وقلتُ وشرحتُ، في هذا الذي قامَ في أوهام الناس من حديثِ" اللفظِ"، لربما ظننتَ أني لم أصنع شيئًا، وذاك أنك ترى الناسَ كأنه قد قُضِيَ عليهم أنْ يكونوا في هذا الذي نحنُ بصَدَدِه، على **التقليدِ** البحْت، وعلى التوهُّم والتخيُّلِ، وإطلاق اللفظ منْ غيرِ معرفةٍ بالمعنى، قد صارَ ذاكَ الدأبَ والدَّيْدَنَ، **واستحْكَمَ** الداءُ منهُ **الاستحكامَ** الشديد، وهذا الذي بيّناه وأوْضحْناه، كأنك ترى أبدا **حجازًا** بينهم بين أن يعرفوه...وذاك لأَنَّ **الاعتقادَ الأوّلَ قد نَشِب** في قلوبهم، وتأشَّب فيها، ودخَلَ بعروقهِ في نواحيها، وصارَ كالنبات السوءِ الذي كلَّما قلعْتَه عادَ فنبَتَ" (الجرجاني، 1992: 365).	التقليد والتشبّث بالرأي الأول حاجز.
5	"واعلمْ أَن القولَ الفاسِدَ والرأيَ المدخولَ، إذا كان صَدَرُه عن قوم لهم نَباهةٌ وصيتٌ وعلوٌّ منزلةٍ في أنواعٍ من العلوم غيرِ العِلْم الذي قالوا ذلك القولَ فيه، ثم	اشتهار القول وإجماع العلماء عليه حاجز

	وقَعَ في الأَلْسُن فتداولتْه ونَشرَتْه...صار **تَرْكُ النَّظرِ فيه سنَّةً، والتقليدُ دينا،** ورأيتَ الذين همْ أهلُ ذلك العِلْم وخاصَّتُه...كالأجانب الذين ليسوا من أهله، في قبوله والعمل به والركون إليه... وأَوْهَمَهمْ النظَرُ **إلى مُنْتَماه ومنْتَسَبِهِ، ثم اشتهارِه وانتشارِه وإطباقِ الجمع بعدَ الجمع عليه** أَنَّ الضَّنَّ به أصوب، والمحاماة عليه أَوْلى... ولَوْلاَ **سلطانُ** هذا الذي وصفتُ على النّاس، وأَنَّ له أخذة **تمنع** القلوب عن التدبّر، **وتقطع** عنها دواعي التفكُّر لمَا كان لهذا الذي ذَهَب إليه القومُ في أمرِ" اللفظِ "هذا التمكُّنُ وهذه القوَّةُ" (الجرجاني، 1992: 464-465).	
6	"وإذا كان العلم بهذه ضرورةً، ثم رأيتَهم لا يَعْلمونَه، فليس إلاَّ أن اعتزامَهم على **التقليد** قد **حالَ** بينهم وبين الفكرة، **وعرض** لهم منه شبه الأخذة" (الجرجاني، 1992: 467).	التقليد حاجز

ورد في التحقّقات اللغويّة المسرودة في القائمة (1-6) ألفاظ من قبيل: الحجاز والسدّ (1، 4)، والمنع والصدّ (2)، والانغلاق (3)، والمنع والقطع (5)، والحيلولة (6). وهي ألفاظ مستقاة من الحقل المادّيّ الذي تتصدّى فيه قوّة معيّنة لقوّة أخرى فتعمل على حجزها ومنعها، وقد استعمل الجرجانيّ هذه الألفاظ للتعبير عن قوى رمزيّة شكّلت في نظره حاجزًا يعيق حصول العلم، فقدّم أوصافًا لأنماط متعدّدة من تلك العوائق، منها ما يتعلّق بطبيعة الجهل ودواعيه: كالتقليد (4، 5، 6)، والخضوع للرأي الأشهر أو الأقدم (5)، أو النزعات الشيطانيّة (2)، ومنها ما يتعلّق بطبيعة العلم من حيث غموضه وصعوبة الإمساك به (3).

وبالرغم من محدوديّة السياق الزمنيّ الذي يُشخّصه هذا الكتاب وانصرافه إلى قضيّة علميّة بعينها تخصّ مسألة الإعجاز فإنّ المعيقات التي ذكرها تنسحب، فيما نقدّر، على أيّ علم[4]، وعلى أية حال، تظل هذه الحواجز مترابطة وبينها من أسباب الصلة أكثر مما بينها من أسباب الانفصال، وأهمّ ما يربطها، في نظر الجرجانيّ، هو تلبّسها بصورة العلم، مع أنّها في جوهرها قوى صادّة عنه، ومكمن قوّتها وفاعليّتها في الأذهان هو هذا التناقض، وبذا غدا العلم بحدّ ذاته موضوعًا للصراع والجدل والنفي والاحتكار، وفي هذا السياق يمكن فهم دعاء الجرجانيّ؛ إذ قال:"ونعوذ به من أن ندّعي العلم بشيء لا نعلمه" (الجرجاني، 1992: 3)، مثلما ندرك حرصه على تحصين قُرّاء كتابه من أن يكون الواحد منهم "عالمًا في ظاهر مُقلّد" (الجرجاني، 1992: 41)، ومن المفيد في هذا الصّدد إيراد نصّ من نصوصه يلخّص هذا الصراع وموقف العالم الحقّ منه؛ إذ يقول:

[4] وضع فؤاد زكريّا في كتابه: التفكير العلمي عنوانًا خصصه لمناقشة "عقبات في طريق التفكير العلمي"، وذكر فيه، من بين ما ذكر: سلطة القِدَم، والانتشار، والشهرة. (زكريّا، 2023: 41 وما بعدها).

"ولو أنَّ هؤلاءِ القومَ إذْ تَرَكوا هذا الشأْنَ تركوهُ جُملة، وإذْ زَعَموا أن قَدْرَ المفْتَقَر إلِيه القليلُ منه، اقْتَصروا على ذلك القليل، فلم يأخذوا أنفسهم بالفتوى فيه، والتصرُّف فيما لم يتعلموا منه، ولم يَخُوضوا في التفسير، ولم يتعاطَوْا التأويلَ، لكانَ البلاءُ واحدا...ولكنهم لم يَفْعَلُوا، فجَلبُوا مِن الدّاءِ ما أَعيا الطبيبَ، وحَيَّر اللبيبَ، وانتهى التخليطُ بما أَتَوْه فيه إلى حدٍّ يُئسَ مِن تَلافيه، فلم يَبْق للعارفِ الذي يَكْره الشَّغَب إلاَّ التعجبُ والسكوتُ. وما الآفةُ العُظمى إلاَّ واحدةٌ، وهي أن يجيءَ منَ الإنسان ويجري لفظه، ويمشي له أن يُكْثِر في غيرِ تَحصيل، وأن يُحسِّن البناءَ على غيرِ أساسٍ، وأن يقولَ الشَّيءَ لم يَقْتُلْه عِلْما" (الجرجاني، 1992: 32-33).

ويبدو، إذن، أنّ قضيّة الجرجانيّ ليست في الجهل الصّامت، ولم يُعْيِه الجهل الناطق من حيث هو ناطق فقط، ولكن من حيث هو معوِّق وفاعل مكين في الصدّ عن العلم، وهذه القوّة المُعيقة أفضت بالجرجانيّ إلى الشعور بالاستلاب العلمي "التعجب والسكوت"، والعزلة المعرفيّة (الجرجاني، 1992: 33)، وقد قادته هذه العزلة إلى أن يختار لنفسه صاحبًا غير أهل زمانه، فصاحبه هو "العلم" الذي وصفه بأنّه "صديق لا يحول عن العهد، ولا يُدغل في الوُدّ... ولا تُظنّ به الخيانة والمكر" (الجرجاني، 1992: 33، 34)، وإذ يختار الجرجانيّ هذا الصديق فإنّه يُعلن بأنّ "التوق إلى أن تقرّ الأمور قرارها... والنزاع إلى بيان ما يُشكل، وحلّ ما ينعقد... شيء في سوس العقل، وفي طباع النفس إذا كانت نفسًا" (الجرجاني، 1992: 34)كما يقول.

وذلك ما يقودنا إلى المضيّ في متابعة مسار الجرجانيّ في التعامل مع هذه العوائق وغيرها، وسبله في إزالتها، وذلك ما سنحاول استكشافه من خلال متابعة لغته إبّان حديثه عن العلم.

- **خُطَاطَة إزالة الحاجز removal of restraint:**

تعدّ هذه الخُطَاطَة حالة خاصّة من حالات خُطَاطَة العائق؛ إذ يجري فيها إزالة هذا العائق عبر قوّة أخرى قادرة على هذا الفعل (جونسون، 2008: 75)، ومن ثمّ فبنيته قائمة على عنصرين كالخُطَاطَة السابقة، غير أنّ ميزان القوى يختلف، فالأقوى هنا هي القوّة الأولى التي تزيل الحاجز المعترض، في حين كان هذا الحاجز في خُطَاطَة العائق هو الأقوى.

والقدرة على إزالة الحواجز بنية متكرّرة في تجاربنا الماديّة المباشرة، كفتح الصنبور لجعل الماء ينسكب، وإزالة حجَرة الطريق، وغير ذلك من التجارب التي تجرّد منها أذهاننا خُطَاطَة مجرّدة تحمل جشطلتًا قابلًا للانطباق على ما لا حصر له من التجارب الماديّة أو المجرّدة فتمنحها معنى مشتركًا يؤلّف بينها على اختلافها وتنوّع مجالاتها.

وينطبق ذلك على المجال العلميّ، فتصوّر العلم، على نحو ما يبرز لدى الجرجانيّ، مقترن بإزالة حواجز سوء الفهم، والمغالطات، والأخطاء، وفيما يأتي عرضه ودرسه.

- **التحقّقات اللغويّة للتصوّر الخطاطيّ: العلم إزالة حاجز:**

م	الشاهد	موطن الاستعارة
7	"وهو بابٌ منَ العلمِ إذا أنتَ فتحتَه اطَّلعْتَ منه على فوائدَ جليلةٍ، ...ووجدْتَهُ سبباً إلى **حَسْمِ** كثيرٍ منَ الفساد فِيما يَعودُ إلى التنزيل **وإصلاحِ** أنواعٍ منَ الخَلل فيما يتعلقُ بالتأويل" (الجرجاني، 1992: 41).	العلم إزالة لحاجز الجهل والخطأ
8	"اعلمْ أنَّ مِنْ سبيلك أن تَعتمِدَ هذا الفصْلَ حَدًّا، وتَجْعل النُّكَتَ التي ذكرتُها فيه على ذُكْرٍ منكَ أبدًا، فإنها عُمَدٌ وأُصولٌ في هذا الباب، إذا أنت مكَّنْتَها في نَفْسك، وجدْتَ الشُّبَه **تنزاحُ** عنك، والشكوكَ **تَنْتفي** عن قَلبك" (الجرجاني، 1992: 53).	العلم إزالة لحاجز الشبهات والشكوك
9	"وينبغي أن نأخذَ الآنَ في تفصيل أمرِ المزيَّةِ...وإنَّه **لَمَرامٌ صعْبٌ، ومطْلَبٌ عسير**، ولولا أنه على ذلك، لما وجَدْت النّاسَ بين مُنْكِرٍ له من أصله، ومتحيّل له على غيرِ وَجْهِهِ، ومعتقِدٍ أنه بابٌ لا تقوى عليه العبارة، ولا يملك فيه إلاَّ الإشارةَ، وأنَّ طريقَ التعليم إليه **مسدُودٌ**، وبابَ التفهيم دَونَه **مغْلقٌ**... **وأنا أُنزلُ لكَ القولَ في ذلك وأُدرِّجه شيئًا فشيئًا**، وأستعينُ الله تعالى عليه، وأسأله التوفيق" (الجرجاني، 1992: 64، 65).	العلم إزالة حاجز منيع تدريجيًّا.
10	"فإنَّ النفْسَ تنازعُ إلى **تتبُّعِ** كلِّ ضربٍ منَ **الشبْهَةِ** يُرَى أنه **يعرضُ** للمُسلمِ نفسِه عند اعتراض الشكِّ" (الجرجاني، 1992: 370).	العلم إزالة حواجز الشبه وعوارض الشكوك
11	"قد **بطَلَ** الآنَ من كلِّ وجهٍ وكلِّ طريقٍ أنْ تكونَ" الفصاحةُ "وصْفا لِلَّفظ من حيثُ هو لفظٌ" (الجرجاني، 1992: 453).	العلم إزالة حواجز الجهل
12	قد بلغنا في **مداواة** النّاسِ مِنْ دائهم، **وعلاجِ** الفسادِ الذي عرضَ في آرائِهم كلَّ مبلغَ،... **وأخذنا بهم عَنِ المجاهل** التي كانوا يتعسَّفون فيها إلى السَّنن اللاَّحِب، **ونقلْنَاهم عَنِ الآجنِ** المطروقِ إلى النَّمير الذي يَشْفي غليلَ الشّارِب، ولم ندعْ **لباطِلِهم** عِرْقا ينبضُ إلاَّ **كويناهُ**، ولا **للخلافِ** لسانا ينطقُ إلاَّ **أخرَسْناه**، ولم نترُكْ **غِطاءً** كان على بصَرِ ذي عَقْلٍ إلا **حَسرْناهُ**، فيا أيُّها السامعُ لِمَا قلناهُ، ...فقد هُديتَ لضالَّتك... فخذْ لنفسكَ بالتي هي أملأُ ليديك... ووازنْ بين حالِك الآن وقد **تنبَّهْتَ** من **رَقْدتك**، **وأفقْتَ** من **غفْلتك**" (الجرجاني، 1992: 477).	العلم إزالة حواجز الجهل

بيّنا فيما تقدّم أنّ الذهن يفهم الأمور المجرّدة، كالعلم في هذه الحالة، من خلال أمور ماديّة مُحسة تعينه على تشخيص هذه المجرّدات، وتحديد موقفه منها، وفي هذا السياق تندرج تعبيرات الجرجانيّ: حسم، إصلاح (7)، إزاحة (8)، تتبّع (10)، مداواة، كيّ، حسْر (12)... وغيرها، التي عبّر بها عن طريقته

في التعامل مع عوائق العلم، وهي في المجمل منتمية إلى حقل الإزالة للشيء المكروه، بإبعاده أو نفيه، وهي بنية مستقاة من تجربتنا الجسديّة حيال ما نواجه من عوائق نسعى إلى إزالتها بقوّة أجسادنا.

والجرجانيّ يتصوّر العلم بما هو قوّة ينبغي أن تربو على قوّة الجهل لتتصدّى له وتفنده، وهي قوّة لا تكتفي بمواجهة ما يعترضها من عوائق، ولكنّها تبحث عن هذه العوائق وإن كانت كامنة أو بعيدة، وتسحبها إلى ساحة المواجهة/التفنيد على نحو ما يبدو من قوله في الشاهد (10)، وما ذلك إلا لأنّها قوّة مدفوعة بحماسة دينيّة متّقدة تتصل بطبيعة العلم الذي ينخرط فيه كتابه؛ إذ جعل الإعجاز موضوعًا له.

ومن هنا يبدو التساؤل عن الاستراتيجيّات التي عوّل عليها الجرجانيّ في إزالة الحواجز أمرًا مشروعًا، ومطلبًا لا محيد عنه للدارس المنكبّ على فهم منشط الجرجانيّ العلميّ، وليس بوسعنا الإحاطة به في هذا العمل، وحسبنا من ذلك الإشارة إلى أنّ المتأمّل في جملة خطاب الجرجانيّ، في كتاب الدلائل على وجه الخصوص، سيلحظ أنّ الجرجانيّ يعوّل في إزالة العوائق على ركنين يجري تشغيلهما عبر الحجاج، هما: الذّوق، والعقل.

وعلى الرغم من رخاوة مصطلح "الذّوق" وصعوبة ضبطه فإنّه يظلّ مصطلحًا مركزيًّا في مشروعه البلاغي، ويراهن عليه في تحسُّس مواطن الإعجاز والبلاغة، فلا يفتأ يدور على دلالته بألفاظ متعدّدة من مثل: النفس، والحسّ، والأريحيّة، والأنس، والنشوة، والاستجادة، والاستحسان، والذوق (الجرجاني، 1992: 151، 92، 85، 46، 99، 41، 46) ،ولمّا كان الذوق حجر الزاوية في حجاجه البلاغي فإنّه يعلن صراحة ألّا مجادلة مع فاقد الذوق؛ إذ يقول في تدريبه للقرّاء على الحِجَاج: "فَلْيَكُنْ مَنْ هذه صِفتُهُ عندكَ بمنزلةِ مَنْ عَدِمَ الإحساسَ بوزنِ الشِّعر، والذوقِ الذي يُقيمه به... في أنك لا تتصدَّى له، ولا تتكلَّفُ تعريفَه، لِعلْمِكَ أنه قد عدمَ الأداةَ التي معها يَعرفُ، والحاسَّةَ التي بها يَجِدُ. فليكُنْ قَدْحُكَ في زندٍ وارٍ، والحكُّ في عُودٍ أنت تطمعُ منه في نار" (الجرجاني، 1992: 291).

فالذّوق، إذن، هو الشرط الأُوّلي والحدّ الأدنى الذي ينبغي أن يتوفّر عليه الوالج في الحقل البلاغي، ولذا يتشدّد فيه الجرجانيّ، ولا يتنازل عنه بخلاف الشرط الثاني "العقل"، وذلك لأنّه يرى أن العقل تعترضه حواجز وقوى يستطيع العلم إزالتها ومواجهتها، ويقدّم لقرّائه جملةً من الوسائل التي من شأنها أن تدمّر هذه العوائق، وتعين على استعادة العقل من قبضتها، من قبيل النظر، والتدبّر، والتأمّل، والفكر، والرويّة (الجرجاني، 1992: 38، 37، 64)، بخلاف الذوق الذي لا يُمكن أن يُصنع صناعة.

ومن البيّن في نصوص الجرجانيّ أنّ المسافة بين النفس/الذوق والعقل معمورة بالحِجَاج الذي يتعيّن عليه أن يصف ويعيّن ويبيّن موطن المزيّة، يقول:"وجملةُ ما أردتُ أن أبيّنَه لك: أنَّه لا بدَّ لكلَّ كلامٍ

تستحسنُه، ولفظٍ تستجيدهُ، من أن يكونَ لاستحسانِك ذلك جهةٌ معلومةٌ وعلَّةٌ معقولةٌ وأن يكونَ لنا إلى العبارةِ عن ذاك سبيلٌ، وعلى صحةِ ما ادّعيناه من ذلك دليلٌ" (الجرجاني، 1992: 41).

ولأجل هذه الغاية الحِجَاجيّة يكتظّ كتابه بالمحاوِر الافتراضي الذي يستجلبه بعبارته "إن قيل"، و"إن قلت"، مثلما أنّه يعلن عن ذلك صراحة وهو يجهّز طلاب العلم مُحَذّرًا لهم من مغبّة أن يسأل أحدهم "السّائل عن حُجّة يلقى بها الخصم في آية من كتاب الله تعالى، أو غير ذلك فلا ينصرف عنك بمقنع" (الجرجاني، 1992: 41، 42).

وبذا يتبيّن أنّ الظهور الفعليّ للعلم يتجلّى في تصوّره بالاحتجاج الذي هو في جوهره إزالة حواجز، غير أنّه مشروط بأمرين: الأوّل: أن يستند المتجادلان على أرضيّة واحدة لا جدال مع الخارج عنها، وتلك الأرضيّة هي "الذوق". والثاني: أن يكون المخاطب متعاونًا مع دعوة الجرجانيّ إلى إزالة الحواجز التي تُغطّي العقل وتعيق عمله[5].

وإذ يتحقّق ذاك يكون تحصيل العلم الذي قال به الجرجانيّ حادث بالضرورة، ويتجلّى حينئذ الإسقاط الاستعاري لخُطَاطَة الإلزام على العلم على نحو ما سيأتي بيانه.

- **إسقاط خُطَاطَة الإلزام enablement:**

هذه الخُطَاطَة على النقيض من خُطَاطَة إزالة الحاجز؛ لكونها تعبّر عن قُوّة ماضية إلى وجهتها بغياب الحواجز والقوى المضادّة، كالقدرة على رفع الكرسي، والقدرة على حمل الطفل، وما إلى ذلك من التجارب اليوميّة المتكرّرة (جونسون، 2008: 75، 76)

وقد أفاد جونسون في تنظيره لهذه الخُطَاطَة من عمل سويتسر (E. Sweetser) التي درست فيه الأفعال الجهيّة من ناحية إدراكيّة، وتناولت الفعل "يجب" على نحوٍ رأى فيه جونسون مثالًا دقيقًا على خُطَاطَة الإلزام، فقد حدّدت معناه الأصليّ بكونه دالًّا على قوّة إلزام تحرّك ذاتًا نحو عمل ما، فيكون الفعل حرفيًّا في مثل(جونسون، 2008: 79 وما بعدها):

- يجب أن تبعد رجلك وإلّا فإنّ السيّارة ستدعسك.

ويكون مجازيًّا في نحو:

- يجب أن يكون المتحدّث سفير سيرلانكا.

وتأويله: يجبرني الدليل الحاصل على استنتاج أنّه سفير سيرلانكا.

وعلى الرغم من محاولة سويتسر ملاحظة الفروق بين الاستعمال الحرفيّ والمجازيّ ورصدها، فإنّها ظلّت تؤكّد، كما يؤكّد ذلك مارك جونسون، أنّ "المعاني المجازيّة ترتبط بشكل حميم بمعانيها الأصليّة، وأنّ أساس

[5] ينظر على سبيل المثال أقوال (الجرجانيّ، 1992: 10، 415، 455).

هذا الارتباط أنّنا نفهم الذهنيّ بألفاظ الفيزيائيّ، والعقل بألفاظ التجربة الجسديّة" (جونسون، 2008: 85).

وإذا نظرنا في الخطاب العلميّ في الدلائل فإنّنا سنلحظ حضورًا بارزًا لألفاظ دالّة على قطعيّة العلم الذي يقول به؛ إذ يفترض الجرجانيّ أنّ العلم الذي يُحاجج فيه ضروريّ، وإذا تعاون القارئ معه في إعمال عقله فإنّ ذلك سيفضي به بالضرورة إلى التصديق بما استنتجه الجرجانيّ، وفيما يأتي بيان بالتحقّقات اللغويّة الصادرة عن هذا التصوّر.

- **التحقّقات اللغويّة للتصوّر الخطاطيّ: العلم إلزام:**

م	الشاهد	موطن الاستعارة
13	"والذي يُبيّن وجهَ الصَّوابِ، ويدلُّ على **وجوبِ** الفرق بين المسألتين :أنك إذا تأملت الكلام وجدت ما لا يَحْتَمِلُ التَّسويةَ، وما تجدُ الفرْقَ قائماً فيه قياما **لا سبيلَ إلى دَفْعه**، هو الأَعَمَّ الأكثَر"(الجرجاني، 1992: 188).	العلم لا سبيل إلى دفعه
14	"وههنا نكتة **يجب القطعُ** معها **بوجوبِ** هذا الفرقِ أبدا" (الجرجاني، 1992: 189).	العلم واجب قاطع
15	"كذلك **مُحالٌ** إذا أردتَ أن تَعرف مكانَ الفضلِ والمزيةِ في الكلامِ أن تَنظُرَ في مجرَّد معناهُ...وهذا **قاطع**، فاعرفه" (الجرجاني، 1992: 255).	العلم قاطع
16	"وهذا سبيلُ كلِّ ما قالوه، إذا أنتَ تأمَّلتَهُ تَراهُمْ في الجميعِ قد **دُفِعوا** إلى جَعْل المزية في معاني النحو وأحكامِه مِنْ حيثُ لم يَشْعروا؛ ذلك لأنه أمرٌ **ضروريٌّ لا يمكن الخروج منه**" (الجرجاني، 1992: 395).	العلم ضروريّ
17	"وإذا بطل أن تكون محسوسة **وجبَ الحكمُ ضرورة** بأنها صفة معقولة. وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة... وإذا كان كذلك، **لَزِم** منه العلمُ بأنَّ وصْفَنا اللفظَ بالفصاحةِ، وصفٌ له من جِهَة معناه"(الجرجاني، 1992: 407).	العلم واجب ضروريّ
18	"فإن قال: مِنْ أَجْل حُروفه، دخلَ في **الهذيان** وإنْ قال: من أجل حُسْنٍ ومزيّةٍ حصَلا في المعنى، قيل له :**فذاكَ ما أَرَدْناكَ عليه** حين قلْنا: إنّ اللفظَ يكونُ فَصيحًا من أجْل مزيةٍ تقعُ في معناه" (الجرجاني، 1992: 424).	العلم إلزام

ويرد إسقاط خُطَاطَة الإلزام على العلم في سياقات الجدل غالبًا، وتظهر فيها الأبعاد المنطقيّة في المجادلة، فتكون المقدّمة بمنزلة الشيء الدافع والملزم للحصول على النتيجة التي يقرّرها الجرجانيّ مُعلنًا وجوبها وقطعيّتها وضرورتها، وأنّ كلّ جدل سليم سينتهي إليها (13-18).

والجرجانيّ في هذا المنحى الجداليّ الإلزاميّ ليس ببدعة عن أهل عصره، بل هو مستجيب للشروط العلميّة التي تنتظم وفقها العلوم وقتذاك، وما يميّز منزعه العلميّ، فيما يبدو من خطابه، ليست حماسته

لأفكاره المهمّة فقط، بل تبرّمه من احتجاب القوم عن هذا العلم الضروريّ والملزم الذي تفضي إليه كلّ الطرق لمن تبصّر وتحصّن بعقله لا باتّباع أو تقليد؛ لذلك أعلن ضيقه، غير مرّة، من اضطراره إلى الإعادة، وتكرار الأفكار، وملاحقة الشبهات، يقول:"واعلمْ أني على طول ما أعدتُ وأبدأتُ، وقلتُ وشرحتُ، في هذا الذي قامَ في أوهام النّاس من حديثِ" اللفظِ"، لربما ظننتَ أني لم أصنع شيئًا، وذاك أنّك ترى الناسَ كأنّه قد قُضِيَ عليهم أنْ يكونوا في هذا الذي نحنُ بصَدَدِه، على التقليدِ البحْت" (الجرجاني، 1992: 365. وينظر أيضًا: 415، 476).

وعلى هذا النّحو، تبدو معركة الجرجانيّ متّجهة إلى مقارعة السُّلَط المعيقة لولوج هذا العلم الملزم والضروري في الأذهان، على أنّه لا يتنكّر إلى دقّة هذا العلم وشدّة تخفّيه. والمعوّل عليه ومصدر الإلزام في ذلك كلّه هو العقل الذي ينبغي أن يكون في خدمة الاعتقاد بالإعجاز.

3- إسقاط الخُطَاطَة العموديّة على تصوّر العلم عند الجرجانيّ.

- **الخُطَاطَة العموديّة (فوق/تحت):**

جاء توصيف هذه الخُطَاطَة في كتاب لايكوف وجونسون المؤسّس للدرس الإدراكيّ "الاستعارات التي نحيا بها" تحت عنوان الاستعارات الاتّجاهيّة، وميّزا هذه الاستعارة عن غيرها بكونها لا تُبَنْيِن تصوّرًا عن طريق تصوّر آخر، ولكنّها تُبَنْيِن نسقًا كاملا من التصوّرات المتعالقة، كالصحة والسعادة والوعي التي تُبَنْيِن بواسطة الاتّجاه فوق، وعكسها يُبَنْيِن بواسطة الاتّجاه تحت، وناقشا ذلك باستعراض عدد من الأمثلة المأخوذة من الكلام اليوميّ العاديّ، من مثل (لايكوف، جونسون، 2009: 33، 34):

1) الصحة فوق، والمرض تحت:

- إنّه في قمّة العافية.
- لقد هوى من المرض.

2) السعادة فوق، والشقاء تحت:

- لقد رفع من معنوياتي.
- سقطت فيما لا تحمد عقباه.

3) الوعي فوق، واللاوعي تحت:

- انهض من نومك.
- قــم.

ومن خلال هذه الأمثلة وغيرها برهَنَا على أنّ هذه الاستعارات المتفرّعة ليست اعتباطيّة، ولكنّها منبثقة من تجربتنا، ولها مرتكزات في تجاربنا الفيزيائيّة والثقافيّة، وذلك ما يوافق، وإنْ جزئيًّا، مبدأ التجسّد

الإدراكيّ، فقد بيّنا أنّ الأساس الفيزيائيّ في تجربتنا للتصوّر الاستعاريّ "الوعي فوق، واللاوعي تحت" يتمثّل في كون الإنسان ينام في وضعيّة تمدّد، ويقوم حين يكون مستيقظًا (لايكوف، جونسون، 2009: 34).

وبشكل عام، ترتبط خبرتنا بما هو إيجابيّ أنّه فوق، أمّا السلبيّ فيكون في الأسفل، والعلم واحد من تلك التصوّرات التي تُبَنْيِن بما هي "فوق"، ونقيضها الجهل يُبَنْيِن على أنّه "تحت"، وقد أسهمت هذه الخُطَاطَة في بنينة تصوّر العلم في خطاب الجرجانيّ ولكن على نحو أقلّ من خُطَاطَتَي المسار والقوّة، وفيما يلي عرض لتحقّقاتها اللغويّة.

- **التحقّقات اللغويّة للتصوّر الخطاطيّ: العلم فوق والجهل تحت:**

م	الشاهد	موطن الاستعارة
1	"فإنّا إذا تصفَّحْنا الفضائلَ لنَعرفَ منازلَها في **الشَّرف**...وجَدْنا العِلمَ أَولاها بذلك، وأوَّلها هنالك؛ إذ لا **شَرفَ** إلاَّ وهو السّبيلُ إليه، ولا خيرَ إلاَّ وهو الدَّليلُ عليه، ولا مَنْقَبة إلاَّ وهو **ذروتها وسَنامها**"[6] (الجرجاني، 1992: 4).	العلم شرف/ فوق
2	"ولم يكن ذلك كذلك إلا **لشرف** العلم وجليل محلّه...وأنّه لا عيب أعيب عند الجميع من عدمه، ولا **ضَعَة أوضع** من الخلوّ عنه" (الجرجاني، 1992: 5).	العلم شرف/فوق، والجهل ضعة
3	"ثم إنك لا تَرى عِلْماً هو أرسَخُ أصلا، **وأَبْسَق** فَرعا، وأَحلى جَنىً، وأَعذبُ وِرْدا، وأكرمُ نِتاجا، وأنْورُ **سراجا**، مِن عِلْم البَيان" (الجرجاني، 1992: 5).	العلم باسق، سراج/ فوق
4	"وهل رأيتَ رأياً أعجزَ، واختيارًا أقبحَ ممن كَرِهَ أَن تُعرفَ حجةُ الله تعالى منَ الجهةِ التي إذا عُرِفْت منها كانت أنْورَ وأبهرَ، وأقوى وأقهر، وآثرَ أَنْ لا يَقْوى سلطانُها على الشِّرْك كلَّ القوّة، ولا **تَعْلو** على الكفر كلَّ **العلو**؟ والله المستعان" (الجرجاني، 1992: 10).	العلم علوّ
5	"وهو بابٌ منَ العلمِ إذا أنتَ فتحتَه اطَّلَعْتَ منه على فوائدَ جليلةٍ، ومعانٍ **شريفة**...وإنّه ليؤمّنك مِن أَنْ تُغَالَطَ في دَعواك، وتدافَع عن مَغْزاك، **ويرْبأ** بك عن أن تستبينَ هُدًى ثم لا تهدي إليه" (الجرجاني، 1992: 41).	العلم شرف، ارتفاع/ فوق
6	"وقد عَلِمْتَ إطباقَ العُلماءِ على تعظيمِ شأنِ "النظم" وتفخيم قَدْره، والتنويهِ بذكره، وإجماعَهم أنْ لا فضْلَ معَ عَدَمِه... وما كانَ بهذا المحلّ من **الشَرَفِ**، وفي هذِه المنزلةِ من الفضلِ، وموضوعا هذا المَوْضعَ منَ المزيّة، وبالغا هذا المبلغَ منَ الفضيلةِ كان حَريا بأن **توقَظَ** له الهِمَمُ، ...وكان العاقَلُ جَديرا أَن لا يَرْضى من نَفْسه بأن يَجد فيهِ سبيلاً إلى مزيَّة عِلْم...ويَطْوي دونهُ كَشْحًا، وأن **يَرْبأ** بنفسِه،	العلم شرف، إيقاظ، أنفة، رفعة/ فوق، والجهل قِصر/ تحت

[6] "ذِرْوة كل شيء وذُروته: أعلاه...وذروة السنام والرأس: أشرفهما". (ابن منظور، 1999، مادة: ذرا)

	وتَدْخلَ عليه **الأَنفَةُ** من أن يكونَ في سبيلِ المُقلِّدِ...وهو يَستطيعُ أن **يَرْتفعَ** عن هذه المنزلةِ...فإنَ ذلك دليلُ ضَعْفِ الرأي **وقِصرِ** الهمّةِ" (الجرجاني، 1992: 80، 81).	
7	"قد بانَ الآنَ واتَّضحَ لِمَنْ نَظَرَ نظَرَ المتثبّتِ الحصيفِ الراغبِ في اقتداحِ زِنادِ العَقْل... وَمْن شأْنُه التوقُ إلى أن يَعْرِفَ الأشياءَ على حَقائقها... **ويربأ** بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يَجري معَ الظاهِر، ولا يَعْدو الذي يَقَعُ في أولِ الخاطرِ أَنَّ الذي قلتُ في شأنِ "الحَذْف" وفي تفخيم أمرِه...كالذي قلت" (الجرجاني، 1992: 171).	العالم فوق
8	"ثمّ إنّ الذي **استهواهم** هو أنّهم نظروا إلى تفسير ألفاظ اللغة بعضها ببعض، فلمّا رأوا اللفظ إذا فُسِّر بلفظ... ظنّوا أنّ سبيل ما نحن فيه ذلك السبيل، وذلك غلط منهم" (الجرجاني، 1992: 444).	الجهل سقوط/ تحت
9	"وسبَبُ ذلك **قِصَرُ** الهمةِ، وضَعْفُ العنايةِ، وتركُ النظرِ، والأنسُ بالتقليد. وما يُغْني وضوحُ الدلالةِ مَع مَنْ لا ينظر فيها، وإنّ **الصبح** ليملأ **الأفقَ**، ثم لا يَراه **النائمُ** ومَنْ قد أطْبَقَ جفْنَه؟" (الجرجاني، 1992: 455).	العلم فوق، والجهل تحت
10	"إنْ كنتَ سمعتَ سماعَ صادقِ الرغبةِ...وتصفَّحْتَ تصفُّحَ مَن إذا مارَسَ بابًا من العلم لم يقنعْه إلا أن يكونَ على **ذروة السَّنام**، ويضرب **بالمعلّى** من السهام، فقد هُديتَ لضالَّتك... ووازنْ بين حالِك الآن وقد تنبَّهْتَ من **رَقْدتك**، **وأفقْتَ** من غفْلتك". (الجرجاني، 1992: 477).	العالم فوق، والجاهل تحت
11	وإذ قد بَانَ **سقوطُ** ما اعتَرَضَ به القومُ" (الجرجاني: 1992: 446).	الجهل سقوط/ تحت
12	"مع الذي بانَ مِن **تهافُتِهِ وسقُوطِهِ**" (الجرجاني، 1992: 465).	الجهل سقوط وتهافت/ تحت

يرتبط تصوّر العلم لدى الجرجانيّ بتراتبيّة يفرز فيها بين مرتبة العلم الذي يقصد بيانه (ربط المزيّة بالنظم)، وعلم العامّة، وعلم الخاصّة، وأفكار هذه الأخيرة هي بؤرة اشتغاله مراجعةً، وتمحيصًا، وتفنيدًا في بعض الأحيان؛ لكونها متورّطة، فيما يرى، بنسبة المزيّة إلى غير النظم، لا سيّما أولئك الذين يربطونها باللفظ، ومن ثمّ فمهمّته في صناعة معنى العلم مرتبطة بتصحيح علم موجود ومنتشر وله أتباعه المؤمنون به والمدافعون عنه، وهو بالنسبة إليهم حقيقة، وربما مذهب وديانة، ويرونه مستحقًّا لصفة العلو؛ ولذا يصف الجرجانيّ العلاقة بين العلم الذي يقول به والعلم الذي يقولونه بأنّها إسقاط(11، 12)، وبيان تهافت (12)، واستهواء (8)، وربوة (5، 7)، وهي ألفاظ تعبّر عن الحالة الصراعية بين العِلْمَيْن التي تتحوّل بها المواضع من القمّة إلى الاستفال.

وليس هذا الانتقال انتقالًا دنيويًّا عاديًّا دائمًا، ولكنّه انتقال يعبّر عن علاقة ما هو أعلى بالمقدّس، وما هو أسفل بالمدنّس؛ لأنّ منطقة الصراع تتّصل بلغة النصّ المقدّس "القرآن الكريم"، والعلم بها كما يقول الجرجانيّ يعني "أن تعرف حجّة الله تعالى من الجهة التي إذا عُرفت منها كانت أنور وأبهر، وأقوى وأقهر" (الجرجاني، 1992: 10)، وهذا ما يسوّغ استعمال تعبيرات ذات صلة بالحياة الدينية من قبيل الهدى والشرك والكفر في أثناء الحديث عن العلم.

وفي السياق ذاته تجدر الإشارة إلى أنّ الجرجانيّ استقى المجالات المصادر الدالّة على العُلُوّ من عدّة حقول دلاليّة أخرى لها رصيدها الرمزيّ المكين في أنفس الجماعة المؤمنة، كحقل الإبل(1)، والنُّور، من قبيل السراج، والصبح، والنوم واليقظة؛ لأنّ العلم، في تصوّره، رؤية، ولا غرابة في ذلك فبما "أنّ تصوّرات العلاقات الفضائيّة تخصّ الفضاء فليس مفاجئًا أن تكون قدرات البصر ومفاوضة الفضاء لدينا مستخدمة في تكوين تصوّرات العلاقات الفضائيّة وبناء منطقها" (لايكوف، جونسون، 2016: 82)، ولذا يكثر عند الجرجانيّ ترديد الحقل البصَري في محاجّاته ونقاشاته وشرحه وتأمّلاته.

الخاتمة:

عني البحث بدراسة الإسقاط الخُطَاطيّ الاستعاريّ المشكّل لتصوّر العلم في كتاب "دلائل الإعجاز" للجرجاني، وفق خلفيّة نظريّة إدراكيّة حرصنا على تجليتها في مدخل الدراسة، وقد أفضى بنا النظر في المدوّنة إلى الإمساك بالتصوّرات الخطاطيّة الكبرى عنده، وهي: خُطَاطَة المسار، وخُطَاطَة القوّة، والخُطَاطَة العموديّة، وبينهما تفاوت في حظوظ الظهور، فعلى حين تتنافس خطاطتا القوّة والمسار في الهيمنة على التصوّر الخُطاطيّ للعلم عند الجرجانيّ، تبدو الخُطَاطَة العموديّة أقلّ حظًّا في الوفرة.

وينبغي أن نشير إلى أنّ هذه الخطاطات وإن كانت متفاوتة كثرة وقلّة، فإنها، بالمجمل، متساندة آخذ بعضها برقاب بعض، وقد حرصنا في انتقاء الشواهد الدالّة على أن تكون الأثرة للخطابات التي تتداخل فيها الخُطَاطات الثلاث؛ سعيًا منّا إلى لفت النظر إلى تظافر هذه الخطاطات في خدمة أغراض الخطاب العلميّ عند الجرجانيّ.

ومن أبرز **نتائج** البحث:

- الخطاب العلميّ ليس خطابًا تجريديًّا خالصًا، ولكنّه مرتهن بخُطَاطاتنا الجسديّة، وتصوّر العلم، في مدوّنة الجرجانيّ محلّ الدراسة– كمعظم تصوّراتنا– استعاريّ متجسّد، ومن ثمّ فهو نسبيّ ومحدود، وإن حرص الجرجانيّ على إبرازه بما هو حقائق نهائيّة ومُلزِمة.

- أسهمت الخُطَاطات في بلورة تصوّر العلم عند الجرجانيّ، وخدمة أغراضه العلميّة والتعليميّة، فخُطَاطَة المسار أضفت على تصوّر العلم دلالات التبسيط والوضوح وسلامة المآرب ببلوغ الغاية، في حين شكّلت خُطَاطَة القوّة بتفريعاتها المتعدّدة وسيلة مهمّة دافع بها الجرجانيّ عن نظريّته وقارع خصومه من خلالها، وأسبغت الخُطَاطَة العموديّة دلالة مخصوصة برز فيها تشابك العلميّ بالاجتماعيّ (المكانة الاجتماعيّة) والدينيّ (الجزاء الأخروي).
- كان الجرجانيّ وفيًّا للسياق الفكريّ السائد في عصره، فهو وإن أبدى مفارقته للجماعة ونزوحه عن التقليد في المسائل الجزئيّة فإنّه منخرط ضمن الجماعة في التصوّر السائد لما ينبغي أن يكون به العلم علمًا، ويتجلّى ذلك في منزعه الحجاجيّ على وجه التحديد.

ونوصي، أخيرًا، بضرورة الالتفات إلى النّسق العلميّ الذي صيغت، وَفْقَه، علومنا، والتبصّر في الأنساق التي كان لها حظّ الثبوت عبر تأثيرها في الأجيال اللاحقة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا

المدونة والمراجع:

- **المدوّنة:**

1. الجرجانيّ، عبدالقاهر. (1992م). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. ط3. القاهرة: مطبعة المدني.

- **المراجع:**

2. إيفانز، فِفيان. جرين، ميلاني. (صيف 2017م). طبيعة اللسانيّات الإدراكيّة. ترجمة: عبدة العزيزي. فصول، مجلّة النقد الأدبيّ، مج4/25، ع100، ص38-62.
3. تاندل، ماركوس. (2022م). نظريّة هجينة للاستعارة: نظريّة المناسبة واللسانيّات العرفانيّة. ترجمة ومراجعة: صابر الحباشة. تونس: معهد تونس للترجمة.
4. ابن جني، أبو الفتح عثمان. (2010م). الخصائص. تحقيق: محمّد علي النجّار. ط2. بيروت: عالم الكتب.
5. حباشة، صابر.
   - (2008م). في المعنى مباحث دلالية معرفية. الدار البيضاء- بيروت: المركز الثقافي العربي.
   - (2011م). مسارات المعرفة والدلالة. عمّان: كنوز المعرفة.
6. حجاب، سيّد عبد الفتاح. (1980م). منهج عبدالقاهر بين الموضوعيّة والذاتيّة. مجلّة كليّة اللغة العربيّة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ع10، ص 429- 458.
7. زكريّا، فؤاد. (2023م). التفكير العلميّ. ط2. المملكة المتحدة.
8. الزناد، الأزهر. (2010م). نظريات لسانية عَرفنية. صفاقس: دار محمد علي للنشر، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر: منشورات الاختلاف.
9. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (2004م). الكتاب. تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون. ط4. القاهرة: مكتبة الخانجي.
10. شادي، محمد إبراهيم. (2010م). شرح دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجانيّ المتوفى سنة 471هـ. المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع.
11. البوعمراني، محمد الصالح.
   - (2016م). استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران. صفاقس: مكتبة علاء الدين.
   - (2009م). دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفاني. صفاقس: مكتبة علاء الدين.

12. لايكوف، جورج. جونسون، مارك.
- (2009م). الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة: عبد المجيد جحفة. ط2. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- (2016م). الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسّد وتحديه للفكر الغربيّ. ترجمة: عبد المجيد جحفة. بنغازي–بيروت: دار الكتاب الجديد المتّحدة.
13. لايكوف، جورج. (2015–2016م). النظريّة المعاصرة للاستعارة. ترجمة: محمد الأمين مومين. مجلّة أبحاث لسانيّة، الرباط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص13–95.
14. مجموعة مؤلّفين. (2012م). إطلالات على النظريّات اللسانيّة الدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات معرّبة. ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين. إشراف: عزّ الدين مجدوب. تونس: المجمع التونسيّ للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة).
15. ابن منظور، محمّد بن مكرم جمال الدين. (1999م). لسان العرب. تحقيق: أمين محمّد عبد الوهاب، محمّد الصادق العبيديّ. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ومؤسّسة التاريخ العربيّ.
16. أبو موسى، محمد محمد.
- (2010م). مدخل إلى كتابَيْ عبد القاهر الجرجانيّ. ط2. القاهرة: مكتبة وهبة.
- (2017م). المسكوت عنه في التراث البلاغي. القاهرة: مكتبة وهبة.
17. موقو، عفاف. (2014م). التصورات المجازية في القرآن: مقاربة عرفانية لبلاغة النص القرآني. سوسة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة.

- **Corpus**

1. Al-Jurjānī, ‘Abdālqāhir. Dalā’il al-I‘jāz, Taḥqīq: Maḥmūd Muḥammad Shākir, 3rd ed., al-Qāhirah: Maṭba‘at al-Madanī, 1992 AD.

- **References**

2. Evans, Vyvyan. Green, Melanie. Ṭabī‘at al- Lisāniyāt al-I’drākyyh. Tarjamat: ‘Obdah al-‘Azīzī. Fuṣūl, Majalat al-Naqd al-’Adabī. vol.25/4, issue100, ṣayf 2017 AD., pp. 38-62.
3. Tendahl, Markus. Naẓariyyah Hajīnah lil ‘Iāst‘ārh: Naẓaryyat al-Munāsabah wa al-Lisānyyāt al- ‘I‘rfānyyh. Tarjamat wa- Murāja‘at: Ṣābir al-Ḥabāshah, Tūnis: Ma‘had Tūnis lil-Tarjamah, 2022 AD.
4. Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ‘Uthmān. Al-Khaṣā’iṣ, Taḥqīq: Muḥammad ‘Alī Al-Najjār, 2nd ed., Bayrūt: ‘Ālam al-Kutub, 2010 AD.
5. Ḥabāshah, Ṣābir.
   - Fī al-Ma‘ná: Mabāḥith Dalālīyah Ma‘rifīyah, al-Dār al-Bayḍā’-Bayrūt: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 2008 AD.
   - Masārāt al-Ma‘rifah wa al-Dalālah, ‘Ammān: Kunūz al-Ma‘rifah, 2011 AD.

6. Ḥijāb, Abdālftāḥ Sayyid. Manhaj ‘Abdālqāhir bayna al-Mawḍuw‘yiah wa al-Dhātiyah, Majlat Kullīyat al-Lughah al-‘Arabīyah, Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-’Islāmyyh, issue10, 1980 AD., pp. 429-458.
7. Zakryyā, Fu’ād. al-Tafkīr al‘Ilmī, 2nd ed., al-Mamlakah al-Muttaḥidah: 2023 AD.
8. Al-Zannād, al-Azhar. Naẓarīyāt Lisānīyah ‘Arfanyah, Ṣafāqis: Dār Muḥammad ‘Alī lil-Nashr, Bayrūt: al-Dār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm Nāshirūn, al-Jazā’ir: Manshūrāt al-Ikhtilāf, 2010 AD.
9. Sībawayh, ‘Amr ibn ‘Uthmān ibn Qanbar. Al-Kitāb, Taḥqīq wa Sharḥ: ‘Abdussalām Hārūn, 4th ed., al-Qāhirah, Maktabat al-Khānjī, 2004 AD.
10. Shādī, Muḥammad Ibrāhīm. Sharḥ Dalā’il al-I‘jāz lil-Imām A‘bdālqāhir al-Jurjānī al-Mutawaffá sanat 471 AH, al-Manṣūrah: Dār al-Yaqīn lil-Nashr wa al-Tawzī‘, 2010 AD.
11. Al-Bū‘amrānī, Muḥammad al-Ṣāliḥ.
- Isti‘ārat al-Qūwah fī Adab Jubrān Khalīl Jubrān, Ṣafāqis: Maktabat ‘Alā’ al-Dīn, 2016 AD.
- Dirāsāt Naẓariyah wa Taṭbyqiyah fī ‘Ilm Alddlālh al-‘Irfānī, Ṣafāqis: Maktabat ‘Alā’ al-Dīn, 2009 AD.
12. Lakoff, George. Johnson, Mark.
- Al-‘Isti‘ārāt Allatī Naḥyā bihā. Tarjamat: ‘Abd al-Majīd Jaḥfah. 2nd ed., Al-Dār al-Bayḍā’: Dār Tūbqāl lil-Nashr, 2009 AD.
- Al-Falsafah fī al-Jasad : al-Dhihn al-Mutjassid wa Taḥdyih lil-Fikr al-Gharbī. Tarjamat: ‘Abd-al-Majīd Jaḥfah. Binghāzy- Bayrūt: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2016 AD.

13. Lakoff, George. Al- Naẓariyyah al-Mu‘āṣirah lil ‘Isti‘ārāh. Tarjamat: Muḥammad al-Amīn Mumīn. Majlat Abḥāth Lisānīyah. al-Rabāṭ: Ma‘had al-Dirāsāt wa al-Abḥāth lil-Ta‘rīb, 2015-2016 AD., pp. 13-95.
14. Majmū‘at Mu’llfīn. Iṭlālāt ‘alá al- Naẓariyāh al- Lisānīyanh al-Dalāliyh fī al-Niṣf al-Thānī min al-Qarn al-‘Ishrīn: Mukhtārāt Mua‘rrabah. Tarjamat: Majmū‘ah min al-Asātidhah wa al-Bāḥithīn, Ishrāf: I‘zz al-Dīn Majdūb, Tūnis: al-Majma‘ al- Tunisī lil-‘Ulūm wa-al-Ādāb wa al-Funūn (Bayt al-Ḥikmah), 2012 AD.
15. Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram Jamāl al-Dīn. Lisān al-‘Arab, Taḥqīq: Amīn Muḥammad ‘Abd al-Wahhāb, Muḥammad al-Ṣādiq al I‘bydī, 2nd ed., Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al- A‘rabī, wa Mu’ssasat al-Tārīkh al ‘Arabī, 1999 AD.
16. Abū Mūsá, Muḥammad Muḥammad.
- Madkhal ilá Kitābay A‘bdālqāhir al-Jurjānī, 2nd ed., al-Qāhirah: Maktabat Wahbah, 2010 AD.
- Al-Maskūt ‘Anhu fī al-Turāth al-Balāghī, al-Qāhirah: Maktabat Wahbah, 2017 AD.
17. Muqu, ‘Afāf. Al-Taṣawwurāt al- Majāzyah fī al-Qur’ān: Muqārabah ‘Irfānīyah li-Balāghat al-Naṣṣ al-Qur’ānī, Sūsah: Kullīyat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-‘Insānīyah bi-Sūsah, 2014 AD.